المشرق

المدارس الداخلية او الخارجية ايهما افضل

للاب فرنسيس شرمو اليسوعي

نشرت جريدة الراقايل الافرنسيّة فصلًا لاحد محرّريها ابتحث فيهِ حقّ المدارس الداخليَّة فصوَّرها على غير حقيقتها فردّت عليهِ جريدة البشير وقد احبَّ بعض قرَّائنا ان نتَّسع في هذا البحث بمقالة نفردها لهذا الشأن في مجلّتنا. فاجابةً لملتسمهم ها نحن نكتب هذا الفصل لا لندافع عن كليّتنا ومدارسنا الداخليَّة وكلٌّ يعلم انَّ رهبانيّتنا تُعنى بالمدارس الخارجيَّة عنايتها بالداخليَّة بل دفعًا للشبهات وصونًا للحقوق ومراعاةً لكرامة المدارس الكاثوليكيَّة في الشرق ولاسيا في بلاد الشام ومعظمها مدارس داخليَّة او مقتسمة بين داخليّين وخارجيّين ولها من الشهرة ما يغني عن الوصف والاطراء.

كل يعلم انَّ تهذيب الولد في سنّ الطفوليَّة يبتدئ في بيت والديهِ وفي حجر امّهِ خصوصاً. فهذه التربية الاولى تؤثّر في الصغير تأثيرًا عظيماً والولد اذ ذاك لين الطباع صفيّ القلب يتلقَّى بكل سهولة تعاليم الوالدين فتنطبع في ذهنهِ انطباع النقش في الحجر. وهذا ما يبيّن عظم شأن التهذيب الوالدي وما يدعو الوالدين الى ان يقوما بهذا الواجب المقدَّس احسن قيام اذ ان مستقبل ولدهما اكثر ما يكون منوطٌ بالتربية العائليَّة فيصدق قول الشاعر :

الابن ينشا على ما كان والدهُ　　ان الغصون عليها ينبتُ الثمرُ

على ان هذه التربية الاولى التي تشبه اساس البناء ليست بكافية لتثقيف

الاحداث فلا بدّ لهم من تربية ثانية اي تربية الآداب بتهذيب عقولهم بالعلم وترويض اخلاقهم بالسجايا الحميدة. وذلك امرٌ لا يستطيع الوالدان ان يقوما به في بيتها وقلّما يتيسّر لهما ان يعهدا به الى من يخرّجهم في البيت تحت مراقبتهما فلا بدّ اذن ان يطلبا من يتولّى هذا العمل الخطير بدلاً منهما . ولا يسدّ مسدّهما مثل المدارس العموميّة فيسلّما ابنهما وفلقة كبدهما الى عناية اربابها

وهنا يتاح للابوين الاختيار بين احد امرين أمّا ان يجعلا الولد في مصف الخارجيّين فيتردّد على المدارس صباحَ مساء ثمّ يعود الى اهلهِ ليلاً وامّا ان ينظماهُ في سلك الداخليّين فيبقى منفصلاً عن ذويهِ مدّة شهور متوالية لا يكاد يراهم الّا في اوقات قصيرة نادرة

فأيّهما افضل ؟ وهل نشير الى الاهل والوالدين ان يرجحوا التربية الخارجيّة على الداخليّة او بالحري هذه على تلك ؟ والكلام هنا على الذين يستطيعون الاختيار لاولادهم ليس على الذين تحكم عليهم الظروف بان يفضّلوا احدى الطريقتين لدواعٍ تضطرهم الى ذلك

فتسرّع كاتبُ جريدة الراقيل دون رويّة كافية ولا تمييز صائب الى القول بانّ المدارس الخارجيّة هي الاصلح والاحقّ باختيار الاهلين . امّا المدارس الداخليّة فنعتها « بالشرّ الضروري » مشيرًا بذلك الى قول احد قدماء الفلاسفة في النساء ثمّ قيلَ في الحروب وغيرهما حتى جرى مجرى الامثال

بيد انّ امثالاً كهذه لا يجوز اطلاقها على كل شيء ينتج منهُ بعض الاضرار لسوء استعماله والّا لكانت افضل الامور معدودة من الشرور لضرر ما يحصل منها عرضاً

وايمُ الله لا نرى في المدارس الداخليّة شرًّا ولا شرًّا ضروريًّا . امّا كونها ليست بشرّ فالامر واضح : اوّلاً باقبال الاهل على وضع اولادهم في المدارس الداخليّة فلو أنسوا من هذه المدارس شرًّا لمّا ضحّوا باعزّ ما لديهم في هذا العالم وارخصوهُ للشرّ بطيب القلب فلو فعلوا لكانوا اجلافاً لا يرحمون اولادهم ولا يرقّون لحالهم بل يسيئون الى انفسهم اذ ان هؤلاء الاولاد بعد ان يُصبَغوا بصبغة المدارس الداخليّة الشرّيرة على زعم المعترض سوف يعودون الى بيوتهم وتنعكس تربيتهم السيئة الى اهلهم

وعمّا نراه في معظم الداخليين من النشاط في معيشتهم الداخلية يحترمون رؤساءهم واساتذتهم بمثابة والديهم ويعدّون رفقتهم كأخدان واخوان واذا سألهم اقاربهم عن امورهم اجابوا انهم راضون من حالتهم مسرورون منها يرون من نظام المدرسة الداخلية وحسن ترتيبها واهتمام اربابها بآدابهم وترويض اجسامهم والسهر على راحتهم ما يجعلهم في عيش هنيّ نفساً وجسماً : فكل هؤلاء لو رأوا في المدرسة الداخلية ذاك الشر المزعوم لتوسّلوا الى اهلهم ليخرجوهم من تلك المدارس. فرضاهم بها دليلٌ كافٍ على أنها ليست شرًّا

هذا ما نعلمهُ بالاختبار اليوميّ بمشاهدة مدارسنا الداخلية. أمّا اذا وُجدت غير مدارس داخلية يصدق فيها وصف كاتب الرقايل من سوء تربية وفساد اخلاق فذلك لا ينتج من كون المدرسة داخليةً ولكن من اهمال المعلمين والنظّار الذين يسهون عن مراقبة التلاميذ وحسن انتخابهم ولا يسهرون على آدابهم ويَدَعون السيّئي الاخلاق منهم مع سواهم فيفسد بعضهم بعضاً. فتصبح على هذا المنوال المدارس الداخلية خطرًا عظيماً على الاولاد. وانّما هذا ليس بذنب المدرسة الداخلية بل ذنب رؤسائها المقصّرين في ضبط نظامها

وكما لا يسعنا التسليم بكون المدارس الداخلية شرًّا كذلك لا نسلّم بأنها شرٌّ ضروريٌّ. فانّ المدارس الخارجية والحمد لله متوفّرة في بيروت وجوارها فلا داعيَ يضطرّ الاهل الى ان يدرجوا اولادهم في سلك الداخليين فتفضيلهم المدارس الداخلية على الخارجية عن حرّية تامة يبيّن جهارًا شطط كاتب جريدة الرقايل

والحقّ يقال انّ ما نسبهُ الى المدارس الداخلية يطرأ ايضاً على المدارس الخارجية سواء كان في نفس المدرسة لما يمكن التلاميذ ان يجدوهُ في بعض رفقتهم من سوء العشرة او خارجاً عنها في ذهابهم اليها او ايابهم منها في ساحات البلد والشوارع والازقّة حيث لا يراقبهم احد فيتعرّضون لعدّة اخطار او في بيت اهلهم حيث لا يجدون دائمًا امثلة الفضيلة والبرارة

فمّا قدّمنا يثبت انّ للمدارس الداخلية كما للخارجية محاسن ونواقص تتوازن في كفّتيها تقريباً

ولعلّ سائلًا يسأل: وما الافضل؟ أليست المدارس الخارجية اولى لتهذيب

الناشئة من الداخليّة ؟ ألا ترى انّ التلميذ الخارجي يعتاد منذ نعومة اظفاره البيئة الاهليّة التى تنتظرهُ في نهاية دروسهِ فلا تكاد تختلف عليهِ حياتهُ الاجتماعيّة فيسير في مضمارها دون مشقّة عظيمة ولا تغيير يطرأ عليهِ فجأةً كما يحصل للتلميذ الداخلي الذي يكاد لا يعرف العالم وعادات المجتمع البشري لِما أَلِفهُ من البيئة المنفردة ضمن جدران المدرسة مع بعض اترابهِ. فما الجواب على هذا الاعتراض ؟

جوابنا أنّنا لا نجهل فضل المدارس الخارجيّة والدليل عليهِ انّ الرهبانيّة اليسوعيّة المنشأة خصوصاً لتهذيب الناشئة لم ترض مدّة زمن طويل ان تتولّى تدبير المدارس الداخليّة ولم تعدل عن هذه الخطّة الّا لمّا تحقّقت ان لا مناص لها من فتحها وادارتها لخير الاحداث رغماً عمّا يوجب ذلك من المشاقّ والتفاني اليومي في تربية الداخليين. ففعلت ذلك اولًا على سبيل الشذوذ في بعض البلاد واذ رأت ما ينجم من انشائها من النتائج الحسنة وفّرت عددها وكانت مع ذلك محافظةً على مدارسها الخارجيّة عموماً بحيث يمكن اهل الولد ان يصطفوا اي مدرسة شاؤوا حسب اختيارهم. وبقي الامر كذلك الى يومنا مع زيادة عدد مدارسنا الداخليّة

لكن اقرارنا بفضل المدارس الخارجيّة لا يمنعنا من اعتبار صوالح المدارس الداخلية. وامّا أيها افضل فالجواب على ذلك ليس بالامر اليسير. وما يقال اجمالًا انّ الظروف هي التي تبيّن مــا هو الاوفق لصلاح الاولاد. وهذه الظروف تختلف ايْ اختلاف حسب الامكنة والازمنة" واطوار عمر الولد وطباعهِ واحوال اهلهِ من تساهل معهُ او شدّة. من فراغ او كثرة اشغال وهلمّ جرًّا. فكل ذلك لا بدّ من مراعاتهِ لتفضيل احدى المدرستين الداخلية او الخارجية لتثقيف الاولاد وتهذيبهم.

فكم رأينا بالاختبار اولادًا عجز الاهل عن ضبطهم وكبح جماحهم في بيتهم اضحوا في المدرسة الداخلية بعد زمن قليل قدوةً لرصفائهم لِبَني الطباع محبي النظام يرون في المدرسة الداخلية نعمةً عظيمة لتثقيفهم وترويض اخلاقهم بل لتقوية اجسادهم وتعزيز صحّتهم. وعهدنا غيرهم الذين على خلاف ذلك بعد يأس معلميهم منهم بين الداخليين وجدوا في المدارس الخارجية وسائل عديدة لتنبيه نشاطهم وحسن سلوكهم بقرب والديهم العزيزين الراقبَين لحركاتهم وسكناتهم الحريصين على حفظ آدابهم ونجاحهم في الدروس

هذا ما نستطيع ان نقوله بالاجمال. أمّا اذا طلب منّا السائل ان نجيبهُ جواباً اتمّ ونتبيّن ما في شكاوى جريدة الزنابق من الصحّة في حقّ المدارس الداخلية فنقول انّ مسئلة تهذيب الاولاد في المدارس الخارجيّة او الداخلية يمكن اعتبارها على وجهين وجه نظري ووجه عمليّ

فمن حيث (الوجه النظريّ) نجيب انّ التهذيب في المدارس الخارجية افضل والبرهان على ذلك قريب وهو كون التهذيب يعود قبل كل شيء الى همّة الوالدَين لأنّ الله وكَلَ اليهما قبل غيرهما تربية الولد نفساً وجسماً وكلاهما يحاسَب يوم الدين عن صنيعهِ من هذا القبيل فان اختارا غيرهما لهذا المشروع الهامّ فما ذلك الّا لقصورهما عنهُ. ومن ثمّ اذا تيسّر لهما الامر يحسن بهما ان يواصلا عنايتهما بالولد فيشملاهُ بنظرهما في جولاتهما ويؤازراهُ بنصائحهما ويؤيداهُ بمثلهما ووِدادهما فيدفعهُ البرّ بوالديهِ الى مضاعفة مساعيهِ للدرس وتحصيل العلوم

أمّا من حيث (الوجه العمليّ) فالرأي الغالب هو على عكس ذلك فانّ تهذيب الولد ولا سيما الولد المترعرع السنّ المقبل الشباب لا يتمّ الّا على شروط عديدة يندر حصولها في معظم بيوت الاهلين وعلى الاخصّ في بيوت اهل بلادنا وذلك أمّا لتفرّغ الاهل الى اشغالهم وأمّا لصعوبة وجود الوسائل الموافقة للدرس بين ضوضاء الاخوة والاخوات والزائرين والزائرات والخدم ولعدم نظام ساعات الشغل والراحة والأكل والنوم في كلّ يوم فضلاً عن حاجة الولد الى ترويض جسمهِ بالالعاب التي قلّما توافقها الدار الوالديّة

فهذه الاعتبارات وغيرها ايضاً تستدعي الاهل الى تفضيل المدارس الداخلية اللهمّ اذا كانت منتظمة تستوفي كل شروط حسن التربية يهتمّ اصحابها الاهتمام الجدّ بتلامذتهم فيهذّبون عقولهم بالدرس والتدريس ويشدّدون عزائمهم في جهاد الحياة بتثقيف اخلاقهم ويُعنَون بتقوية اجسامهم بالرياضات البدنيّة وكل ذلك على نظام يوافق طبائع الاحداث حتى اذا تمّت تربيتهم يحقّق فيهم تحديد القدماء للرجل الكامل حيث عرّفوهُ بقولهم « نفس سالمة في جسد سالم »

واوّل ما يناله الولد الداخلي بفضل المدرسة الداخلية سهولة انقطاعهِ الى تحصيل المعارف. معلوم انّ الدرس المثلي ليس هو كميّة الاشغال العملية والصنائع والحِرَف

التي يقتضيها بعض الحذق والبراعة دون إجهاد الفكر . فانَّهُ على خلاف ذلك يستدعي استفراغ قوى العقل والاعتزال من كل شاغل ياهي ليتفرَّد للابحاث النظريَّة بتخصيص الذاكرة والارادة والذهن لاحراز غوامضها وفكّ مشاكلها وهذا ممَّا يناله الدارس خصوصاً في المدارس الداخليَّة حيث يكون تحت نظر اساتذتهِ ومراقبيهِ في معاهد خاصة يخيّم فوقها السكوت والهدوء التام بقرب رفقة يتفرَّغون مثلهُ للحفظ والكتابة فيجري معهم جري خيل الرهان في حلبة السباق مع علمه بما يناله من الجزاء على حسن عمله والعتاب على كسله

وليست هذه العزلة كما يزعم البعض حبساً او ضغطاً على العقول وانما هي خلوةٌ اختياريَّة تساعد الولد على ابراز قواه العقلية فتنبض تلك القوى من سِنَتها وتتعزَّز بالفكرة وتنشط بالعمل فتصبح على شبه النهر التي تتوفَّر مياهها على قدر ما يستنبطها الساقي واذا رأى الولد نتيجة عقلهِ وجد في الامر لذَّةً وسُرَّ به كما تفرح الأمّ بمولودها بعد وجع المخاض . ومن ثمَّ تنبعث قواه لمواصلة الدرس دون مشقَّة عظيمة . فهي هي الخلوةُ التي اعدّت كبار الرجال الى ما باشروهُ من المشروعات العظيمة والاعمال الشريفة : وكم عرفنا من تلامذتنا الذين يذكرون بالشكر تلك ساعات الدروس الهادئة التي قضوها مدَّة شبابهم في ذلك الجهاد العقليّ والظفر الادبيّ بين القراطيس والمحابر

امّا اذا تُرِكَ الولد لحرّيته ولم تُعْنَه عناية معلّميه كما يجري للتلميذ الخارجي فقلَّما يجهد نفسهُ في بلوغ مآربه واذا لزم الشغل مدَّة طرأت عليه دواعي التلهي فتتضعضع افكارهُ وربَّما عدل من الدرس الى البطالة دون رقيب يردّ عنهُ اسباب الفراغ والطيش

على انَّ الداخليين لا يقضون كل وقتهم في الدرس فانَّ لهم ساعاتٍ لترويح نفسهم من تعبهِ . وهذه الساعات تفيدهم ايضاً لتهذيبهم فانهم لا يعرفونها فقط في الفراغ والراحة بل يجعلونها قسماً كبيراً من تثقيفهم بما يباشرونهُ من الالعاب والرياضات البدنية اكثر من الخارجيّين فمن وراء هذه الالعاب فوائد جمّة ليس فقط الحياد عن المناقشات والاحاديث الخلاعية او الباطلة التي يعتادها الشبان اذا كثر

عددهم واختلفت اسنانهم بل ايضاً لتعزيز قواهم البدنيـة ولتلقينهم قوانين الانتظام والتضافر في الدفاع والهجوم تحت نظـارة رئيس وقوّاد وجنود يُقسَمون كالجيوش الى فريقين يسعى كل منهما طاقة جهده في الفوز والانتصار على الآخر فينشطون لارادتهم ويشدّدون عزمهم

فهذه الالعاب كما ترى ليست لمجرّد اللهو ولتطليم الوقت وهي بعيدة عن تلك الالعاب غير النظاميّة التي يجريها الاولاد والشبّان في الشوارع والازقّة واكثرها لا يليق بشبيبة تتخرّج بالآداب وتمتاز بحسن التربية اذ يتنازع اصحابها ويتلاحمون ويتلاكمون ويتجدلون على الحضيض. كلّا فان هذه الالعاب لا يُسمَح بها في المدارس الداخلية المنظّمة. وانّما يختار ارابها لتلامذتهم العاباً تروّض ابدانهم وتمثّل لهم شبهَ الفنون الحربية كالتمرينات العسكريّة في ضروب المشي والركض وكحركات الجوارح والبدن من انتصاب وانحناء وبسط الذراعين ورفعهما وحمل بعض الاثقال وكالالعاب العمومية التي تعمّ فئة التلامذة اجمعين دون استثناء كلعبة الحواجز (les barres) ولعبة العَلَم (jeu du drapeau) ولعبة القلاع (le château-fort) وركوب العجلات (les chars) والتطاء الاخشاب (les échasses) وضروب الالعاب الكريّ ككرة المجنّ (la balle au bouclier) وكرة المعسكر (la balle au camp) وكرة القدم (foot-ball) وما اشبه ذلك من الالعاب الجامعة بين التمرين البدني وحذق اللاعبين ولزوم الانتظام بقيادة امير وطاعة مأمور فيتنافس القوم ويبذلون القوى في نصرة فئتهم وكسرة الفئة المعادية فيخرجون من هذه الالعاب والعرق يتصبّب من جباههم وقد لوّحوا متونهم وشدّدوا ابدانهم واعتادوا سياسة رفقتهم وتدبير بني جنسهم في سباق الحياة

قيل ان الجنرال الانكليزي والنتون (Wellington) الذي ظفر من نابوليون الكبير في موقعة واترلو زار يوماً المدرسة التي تخرّج فيها فلحظ هناك ساحة كان يلعب فيها مع رفقته بكرة الاقدام فصرخ قائلًا : في هـذا اللعب تعلّمت كيف انتصر من الامبراطور نابوليون

وممّا اخبر الاب دولاك (P. du Lac) اليسوعي الشهير في كتابه الذي عنوانه «فرنسة» حيث فصّل اخبار المدارس التي تولّى تدبيرها بصفة رئيس ان

تلامذة فئة الكبار من مدرسة ڤان (Vannes) كانوا في وقت الزمهرير يسيرون على الاخشاب فوق الجليد من المدرسة الى البستان والمسافة لا تقلّ عن ثمانية كيلومترات فجعل يوماً جزاء لمن يثبت على خشبتيهِ ولا يسقط منها البتّة فساروا التلامذة جميعاً وبلغوا كلهم الى الغاية لكنّ واحداً فقط منهم ثبت ولم يزل البتّة من ساقيه الخشبيَّتين فكان ثباتهُ دليلاً على ما سيصير اليهِ يوماً فانهُ انتظم في سلك الجنود الدافعين عن الكرسيّ الرسولي وابلى البلاء الجميل في كَستِلفيدردو ثمّ في جملة الزوّاوة المتطوّعين في حرب فرنسة وبروسية فاذهل الجميع اصحاباً واجانب بشهامتهِ فلم ينثنِ متقهقراً حتى أُثخن بالجراح (١

وذكر ايضاً تلميذاً آخر اسمهُ جاك دي بولياي (Jacques de Bouillé) امتاز في المدرسة بحذقهِ في الالعاب حتى انهُ يوماً ركب الاخشاب وجعل احد عشر من رفقتهِ يجدُّون في اسقاطهِ عنها فبقي ثلاث ساعات وربع يصارعهم فغلبهم كلّهم ولم ينالوا منهُ . فهذا التلميذ النشيط لسك في موقعة پاتاي (Patay) راية قلب يسوع وتقدّم فرقتهُ التي شهد الالمان لصادق بأسها فقالوا : « لو وُجد عشر فرق كهؤلاء الصناديد لما وطئت رجلنا ارض فرنسة » . وكان جاك اثبت الكلّ جناناً فخاض غمرات القتال بجرأة الاسد ومات رافعاً رايتهُ ولم يدع العدوّ يمسُّها

والراوي الذي اخبر بهذه الامور انتقل بعدئذٍ الى انكلترة لمّا أُقفلت مدارس اليسوعيين في فرنسة فصار رئيساً على مدرسة كنتربري فكان يقول للتلاميذ اذ يمارسون الانكليز في العابهم : « اني قد تحقّقت انّ هذه الالعاب المنظّمة والتمرينات البدنية هي التي تجعل الانكليزيّ مفتول الخَلق شديد البنية صبوراً على الآفات . ولهذا نحن اليسوعيين وارباب المدارس الكاثوليكيّة نفرض على تلامذتنا ممارستها لعلمنا بأنها تتمّة التهذيب الصحيح »

وقد علم الفرنسويّون ذلك فارادوا ان يفرضوا على تلامذة مدارس الحكومة هذه الالعاب لكنّهم أَيسوا من تمشيتها بينهم فأقرّوا بعجزهم . وقد صرّح بذلك منذ سنة ١٨٨٩ رئيس مكتب ألبي (Lycée d'Albi) في كتابهِ المعنون "L'Education

---

١) راجع المشرق في السنة ١٩٠٦ (٩ : ٢٨-٣٦) مقالة للاب ابيل رينو اليسوعي عنوانها « الالعاب الرياضيّة في المدارس المسيحية » وهناك خطاب الحبر الاعظم في هذا الصدد

«Physique» انَّ اولاد مدارسنا لا يعرفون ولا يريدون ان يلموا وهذا داء قد عمَّ مدارسنا حتى اعيا كلَّ رؤسائها فلا يرون لهُ دواء»

وما قولنا الآن من ترويض اخلاق الداخليين في صحبة أترابهم المختلفين بالطباع والاذواق والعادات والبلاد فيلزمهم الاحتكاك بهم ومراعاتهم والصبر على نقائصهم فيستعدُّون بذلك للعيشة الاجتماعيَّة التي يرونها في المدرسة باختصار

فترى انَّ المدارس الداخلية اذا تولَّى تدبيرها اصحاب الخبرة لا تولي ضررًا للنشأة المتخرّجة فيها اذا عرفوا الطريقة المثلى لتهذيب عقولهم بالدرس وابدانهم بالالعاب

*

لكنَّ لرؤساء المدارس الداخليَّة الكاثوليكيَّة وسائط اخرى اعظم من هذه تحوّل مدارسهم الى معاهد اهليَّة يأنس اليها التلامذة فوق انسهم ببيوت اهلهم نريد بها مساكنتهم للرهبان والكهنة وعيشتهم بجوارهم ليلًا ونهارًا. فان كان هؤلاء الكهنة رجالَ الله يسيرون على موجب نواميس دعوتهم فلا شكَّ انَّ عَرْف فضائلهم يعطّر جيرتهم وامثالهم الصالحة تحيك في صدور تلامذتهم حتى تؤثر فيهم ولو دون علمهم فيجعلون يقتفون بآثارهم ويمارسون الفضيلة كاساتذتهم لا سيما اذا كانوا رهبانًا مجرَّدين عن كل جاه العالم منقطعين الى خدمة الله وخير النفوس

وزِدْ عليهِ انَّ الولد يعلم بتربيهم انَّ له بين رؤسائهِ ومعلّميهِ اصدقاء مخلصين لا يريدون الَّا خيرهُ فيكشف لهم خفايا قلبهِ ليسندوهُ ويرشدوهُ ويبعثوا همَّتهُ. وان سقط في بعض الذنوب يجد بجوارهم آباء روحيين يضمّدون جراحاته ويشفون ادواءهُ وينهضونهُ من سقطاتهِ فيعود الى الجهاد بقلب اثبت وعزم اشدّ

ومن حسنات تربية المدارس الداخلية التي نحن في صددها أنَّ الشاب لا يُصبح لعبةً لاهواء قلبهِ ولا فريسةً للشكّ في دينهِ وتلك الطامَّة العظمى التي تهلك كثيرين من الشبان فتلقيهم في تيار الكفر. فانَّ الناشئ اذا ترعرع ورابت دقائهُ بعض المشاكل التي يصعب عليه حلُّها يجد في معلّميهِ المتضلّعين من العلوم الدينيَّة والدنيويَّة جوابًا شافيًا على اعتراضاتهِ وان وقفوا على احد بين رفقتهِ اضحى لهُ حجر عثرة بكلامهِ او اعمالهِ استدركوا الامر وطردوا من القطيع النعجة الجرباء لا محالة

هذه بعض ملحوظات اختصرناها على صفحات مجلَّة المشرق يتنج منها انَّ من

رشق مدارس الداخليَّة عموماً بسهام الملامة رمى الكلام على عواهنهِ وكان الاحرى بهِ ان يلزم طريق الانصاف بالتمييز والسلام

ربّة بني عَمُّون

بحث تاريخي اثري بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (لاحق بسابق ص ٢١٢)

كنَّا انتهينا في مقالتنا الاولى عن عمَّان الى الآثار القديمة الباقية حتى يومنا من عظمتها السابقة فذكرنا بقايا معاهدها المدنيَّة. فبقي علينا ان نشير الى بعض آثارها النصرانيَّة والعربيَّة مع وصف نقودها القديمة

فمن ذلك ما وجدناهُ بالقرب من نهر عمَّان ألا وهي كنيسة كبيرة قائمة الحنايا على الشكل البوزنطي طولها تسع واربعون متراً وعرضها ثمانٍ وثلاثون متراً. وقد كسر الشركس ما وجدوا على جدرانها من الصلبان الحجرية وبالقرب منها فرن كان القدماء يشوون فيهِ تماثيل الهتهم الخزفيَّة

ومن آثار العرب في عمَّان قلعة ابتنوها في مكان الحصن الروماني القديم العهد ومن موادّهِ. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣: ٧٢٠) جامعها فقال: «انهُ جامع ظريف في طرف سوقها مُفَسْفَس الصحن شبه مكة» والمرجح انهُ كنيسة قديمة. وذكر لمشان ايضاً «قصر جالوت فوق جبل يطلّ عليها وقبر اوريّا النبيّ وعليهِ مسجد» ثمَّ وصفها برخصة الاسعار وكثرة الفواكه وكثرة المياه والارحية وصعوبة الطرق اليها. ونسب الجهل الى اهلها

ومن آثار الاعصر القديمة في شمالي المرسح حجارة كالانصاب (dolmens) وعثرنا على هياكل كانوا يذبحون عليها الذبائح الوثنيَّة ولهم هناك المشارف المقدسة حيث كان الكهنة يجتمعون ويقيمون الطقوس الوثنيَّة والى الآن نرى الآثار بالقرب من هياكل الاصنام فتسيل اليها دماء الثيران والعجول

وقد وجدنا نقوداً قديمة من عهد الاسكندر الكبير منها يونانيَّة للاسكندر وخلفائهِ ومنها لاتينيَّة لملوك الرومان والبعض منها لليهود كنقود هيرودس وغيرها

للنبطيين والعرب. وعثرنا على سكاكين من صوّان وفؤوس حديدية وحراب وسهام وكؤوس ومصابيح خزفيّة وقناني زجاجيّة كُتبت عليها حروف يونانيّة. وجرار كبيرة كان الاقدمون يضعون فيها رفات الميت بعد احراقهِ. وقد راينا موازين حجرية كانوا يستخدمونها في التجارة والمبايعات — وعاينّا عند رجل تماثيل آلهة صغيرة عمونية لم يرسم عليها حروف ولا تُرى عليها كتابة

ونكتفي بما سطرناه عن آثار الربة قبل ان تنزل بها ايدي الخراب فتمحي رسمها من التاريخ لأنا رأينا من اعمال الشركس ما يجرح الفؤاد اذ يهدمون الابنية القديمة فيستخرجون حجارتها ويستخدمونها لبيوتهم. ولعلَّ الدولة العليّة لم تطّلع على اعمالهم الذميمة لأنها لو علمت بها لما سهت عن معاقبة من يهدم هذه الآثار القديمة وما وعاهُ لنا الدهر من بقايا الازمنة الغابرة

وبعد ان سطرنا تاريخ الربة رأينا ان نبحث قليلًا عن النقود المختصّة بتلك المدينة مما عثر عليهِ العلماء في عصرنا الحاضر فبها يتضح جليًّا ما نالت تلك الربوع من رفيع المنزلة وكبير الاهمية في الاعصر الماضية. ولا يغيب عن نظر الناقدين وارباب العلم ما يلقيهِ الباحث من المصاعب الوافرة في قراءة تلك الآثار الغابرة. على انهُ لا يخشى العثور اذ استضاء بمصباح اهل العلم الذين احرزوا وزنًا كبيرًا من المعارف في ذاك الفن ونخصُّ بجميل الذكر منهم العالم دي سوسي (de Saulcy) الذي بحث بحثًا مدققًا عن نقود فيلاذلفيا وهي ربة عمون التي عُرفت بهذا الاسم في عهد السلوقيين. وقد قسم مسكوكات فيلاذلفيا الى قسمين منها ما ضربهُ الاهلون وهم مستقلون بانفسهم ومنها ما اصطنعهُ الملوك الرومانيون الذين تملكوا عليها

النقود المختصّة بالاهلين فقط

اذا اعمل المرء النظر في بعض نقود عمّان وقلّب فيها الطرف وبحث عن تصاويرها وحروفها وأعطافها ومطاويها تجلّت لهُ تلك الكلمة اليونانيّة (ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ) اي « للفيلاذلفيين » وعلم اذ ذاك ان قد حُذفت منها كلمة تأويلها نقود الفيلاذلفيين لان صيغة الكلمة اليونانيّة هي صيغة المضاف اليه. واذا تقصّى في التفتيش وامعن في التنقيب ألفى صورة ميترفا إلاهة الحكمة عند اليونانيين

وربة الفنون البديعة وعلى رأسها بيضة حربيّة ثمَّ يماين في الوجه الثاني غصن دالية ممتدة وعليها عنقود عنب وكثيرًا ما رقموا عليها هذه الاحرف (ZIP) اي ست مئة وسبع عشرة (١ او (ΠP) اي سنة ١٨٠ . وقد اشرنا الى عناقيد العنب المرسومة على جدران قلعة عمان فقد نُقشت ايضاً على مسكوكاتهم

وربَّما وُجد على غيرها رأس متوَّج وعلى جانبه حروف محاها الدهر فلا يعرف لها اصل وفي صفحتها الثانية كتبت تلك الكلمة (ΛΑΔΕΛΦΕΩΝ) وقد طُمس اوَّلها (ΦΙ) لما مرَّ عليها من طوارق الايام . ولقد رسموا في وسطها صورة هرمس (ΕΡΜΗC) عريانًا مائلًا نحو الشمال وعلى كتفه قضيب طويل تتلاعب عليه حيَّتان مشتبكتان وراس الواحدة يقابل راس الاخرى والاله هرمس او مركور نحو عطارد اله الفنون ورب التجارة والخطابة ورسول الآلهة وقائد النفوس الى الجحيم. وفي غيرها نرى هامة امراة تميل الى الشمال وعلى راسها بيضة تشبه القبعة الفريجيَّة وقد كُتب حولها للفيلاذلفيين. وفي جهتها الاخرى نجد خمس سنابل وعليها كُتبت تلك الاحرف اليونانيَّة (ΓΜΡ) اي سنة ١٤٣

ومن اجمل ما نشاهد هناك مسكوكة صوَّروا عليها ساريس (Cérès) إلاهة الزراعة وفي يدها اليمنى شماليل من السنابل وعليها تلك الكلمات المختصرة (ΦΙΛΑ·ΚΟΙ-CΥΡ) (Φιλαδέλφεια τῆς Κοινῆς Συρίας) اي فيلاذلفيا سوريَّة البقاعيَّة واما تاريخ سنتها فهو ٢٢٧ (ZKC) وقد نُقش عليها سلة ملأى من السنابل والخشخاش وقد تنطبق تلك الرسومات على معتقدات الوثنيين في سيرهم الخرافيَّة . قال اوفيدوس: « كانت ساريس تحمل دائمًا في يدها مصباحاً تفتش على ابنتها بروزربينا التي خطفها بلوتون اله الجحيم ولم تكن تستطيع الرقاد لما ألمَّ بها من الاحزان والآلام فارسل اليها جوبتير خشخاشًا ينوّمها فصوّرت قابضة على الخشخاش ». وعلى غيرها من المسكوكات نشاهد الإلهة نفسها وعلى صدرها سنبلتان تحيط بها

(١) ان الحروف اليونانيَّة كالحروف العربية تدل على اعداد فان Z كالزاي العربيَّة تدل على ٧ — و Ι كالياء تدل على ١٠ — و P كالراء تدل على ١٠٠ و Π كالفاء تدل على ٨٠ و Λ تدل كاللام على ٣٠ — و Γ تدل على ٣ — و M تدل على ٤٠ وهي كالحروف الابجدية لحساب الجمَّل.

حلقة صغيرة وقد رُسم فيها من الجانب الثاني سلّة من القصب وفيها حيّة بين سنبلتين وقد وصفها العالم سستيني (Sestini) وصفاً دقيقاً

بيد ان العلماء قد اتفقوا انَّ عهد فيلاذلفيا السطَّر على النقود هو تاريخ بومبايوس ومبدأُهُ السنة الرابعة والستين قبل المسيح. ومن ذلك يُستنتج ان سنة ١١٧ (ZIP) تقابل من عهد بومبايوس سنة ٥٣ بعد المسيح وسنة ١٨٠(ΠΡ)تقابل سنة ١١٦ ب م وسنة (ΓΜΡ) اي ١٤٣ تقابل سنة ٧٩ وسنة ٢٢٧ (ZKC) تقابل سنة ١٦٣

٢ النقود الملكية

وقد عثر ارباب الاكتشافات على عدد وافر من المسكوكات الملكية المختصّة بمدينة فيلاذلفيا. فاولها بحسب التاريخ مسكوكة على اسم الملكة اغريبيني وهي امرأة كلوديوس التي قتلها ابنها نيرون العاتي سنة ٥٩ ووالدتها تدعى اغريبينا الكبيرة ماتت في النفي سنة ٣٣ فقد سُطّر عليها ΑΓΡΙΠΠΙΝΗ ΣΕΒΑΣΤΗ اي الامبراطورة اغريبينا وقد نُقش عليها قرن خصب وقد قرأ عليها العالم ميوني (Mionnet) تلك الكلمة ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ وقد تفرّقت اراء العلماء في نسبتها فمنهم من نسبها الى فيلاذلفيا ليدية ومنهم من اختصها بفيلاذلفيا عمّان وهو الراي الارجح

على ان طيطوس الملك قد ابقى له ذكرًا على نقود فيلاذلفيا فانّا نعاينهُ على بعض النقود مكلّلًا بالغار تحيط بهِ هذه الكلمات ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΤΙΤΟΣ اي السلطان طيطوس وΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ للفيلاذلفيين. وقد اختصها العالمان ڤاليان (Vaillant) وميوني (Mionnet) بمدينة العمونيين

والملك المذكور نقود كثيرة غيرها فنها ما سُطِّر عليها ΤΙΤΟΣ ΚΑΙΣΑΡ اي طيطوس قيصر ومنها ما رُسم مع اخيه دومطيانوس حين اشتركا في الملك سنة ٧٩ ب م وعلى غيرها نقش رأس دومطيانوس مكلّلًا بالغار دون اخيه. ومن الجهة الاخرى نعاين امرأة ورأسها مغطّى وشعرها مجعّد مرتفع وقد نُصب من ورائها سعف نخل

ومما يوقف الابصار حسناً ولا يبقي في النفس شكّاً نقدٌ واضح على اسم الملكة دومطيا فهناك نتعهد بابصارنا تلك الملكة بعيونها المتّقدة وشعرها المجعّد تحيط بها

تلك الكلمات DOMITIA AYΓOYCTA· ΦΙΛ· KOI· CYP· اي السلطانة دوميطيا ·نقد لمدينة فيلاذلفيا البقاعيّة

وكذلك الملك ادريانوس قد ضرب له نقودًا عديدة تختص بفيلاذلفيا فعلى بعضها نقش الناقشون هذه الكلمات AYTOKPATΩP AΔPIANOC CEBACTOC-TYXH ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩN· اي السلطان ادريانوس التقي المكرم سعادة الفيلاذلفيين · ولم يتفق ارباب العلم على استنباط معنى الكلمات الاخيرة فظنّ بعضهم ان الملك ادريانوس قد اسعد الفيلاذلفيين بما انشأ بمدينتهم من البنايات الرفيعة

وطالما مثلوا الاله هرقلس مكلّلًا بورق الغار بصورة شاب لم ينبت في وجهه شعر وحول رقبته جلد اسد· وقد رسموا المشتروت على نقد من نقود انطونينوس وهي واقفة وقفة المتأمل وفي يدها قرن الخصب · وكثيرًا ما صوّروا رأس ايزيس (Isis) وراس باخوس ووراءه نمر

ولقد اشتهر مرقس اوريليوس بما ابقاه من مسكوكات فيلاذلفيا فرسم على واحدة منها صورة هرقلس وحول رقبته جلد اسد ونقش ايضاً صورته وعلى راسه اكليل من غار تزينه تلك الكتابة :

AYT· KAIC-M· AYP· ANTΩNINOC

ومرارًا عديدة نعاين على النقد اربعة اعمدة مرتفعة والملك محمول على مركبة يجرها حصانان او نرى عربة كبيرة تجرها اربعة احصنة – ويخبرنا التاريخ ان مرقس اوريليوس قد اشترك بالسلطان مع لوقيوس ڤيروس (Lucius Verus.) ولذلك قد اقاما لهما نقودًا على اسميهما ورُسما عليها كانهما يتصافحان

ومن الملوك ايضاً الذين ابقوا لهم اثرًا على النقود وسطروا رسم فيلاذلفيا كومودس (KOMMOΔOC) وكركلا واليوغابل – فعلى بعضها تُشاهد صورة امرأة على راسها اكليل كأنهُ برج مرتفع تميل الى اليمين وكثيرًا ما رأينا تلك المرأة متوّجة باكليل من السنابل · ولقد اختصت تلك النقود جميعها بانها تذكر اسم فيلاذلفيا

ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩN KOI·CYP·

هذا ما عثرنا عليه من المسكوكات كما دونها العالم دي-سوسي في كتابه المسكوكات المختصّة بفيلاذلفيا

جواهر النظام في معرفة الانغام

توطئة

من جملة المخطوطات التي توفّقنا الى الحصول عليها في رحلتنا الى الهند سنة ١٨٩٥ كتاب صغير طولهُ ١٧ سنتمترًا في عرض ١٣ س لا تزيد اوراقهُ على عشر صفائح غلافهُ مقوًى بنفسجي اللون. يتضمَّن نصفهُ الاوَّل ارجوزةً في الانغام عنوانها « جواهر النظام في معرفة الانغام » في مئة بيت تاريخ كتابتها سنة ٨٧٧ للهجرة (١٤٧٢ م) وهي مكتوبة بخطّ عاديّ حسن وبحبر اسود في المتن واحمر في العناوين والنقوش . امَّا مؤلف هذه الارجوزة فلا نعرف من اسمهِ واحوالهِ سوى ما ورد عنها في صدر الكتاب وختام الارجوزة فهو « الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمَّد بن علي بن ابي الحسن علي الخطيب الاربليّ » وقد بحثنا عنهُ وعن ارجوزتهِ كثيرًا في ما لدينا من التآليف فلم نجد لهُ ذكرًا فيها ولا في قوائم مخطوطات اوربا ومصر والاستانة. ويظهر من اسم الناظم انّهُ كان من اربل من جهات العراق . وقد افادتنا في خاتمة ارجوزتهِ انّهُ صنَّفها « باقلّ من يوم » وذلك في « رنداد » وهي بلدة صغيرة من العجم لا ذكر لها في كتب وصف البلدان . امَّا سنة التأليف فقد صرَّح بها المؤلف وهي سنة ٧٢٩ (١٣٢٩ م)

وكانت الموسيقى في ذاك الوقت قد اصبحت عجميَّةَ الاصول وهي التي يجري عليها ارباب الغناء زماننا مع بعض اختلافات عرضيَّة . ومن اراد الوقوف على اصولها وفروعها وتفاصيلها فعليهِ مراجعة « الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة » للدكتور ميخائيل مشاقة التي نشرها حضرة الاب لويس رونزفال في المشرق وطبعها على حدة مع عدة ملحوظات وتفاسير ثمَّ كرَّر طبعها في هذا العام ونقلها الى الافرنسيَّة وطبعها في المجلد السادس من منشورات مكتبنا الشرقيّ (راجع الصفحة ٧١١) مع اشكال متعددة وحواشٍ غايتها خصوصاً افادة الاوربيين

(١') جواهر النظام في معرفة الانغام

تأليف الشيخ الامـام الاستاذ شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن المرحوم الشيخ الصالح الورع عليّ ابن ابي الحسن علي الخطيب الأربليّ رحمهُ الله وآباهُ ورحم اموات المسلمين

(1') بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على إنعامهِ حمدًا يكافي الفضلَ في اقسامهِ
ثمَّ الصلاةُ والسلام التالي على النبيِّ احمدٍ والآلِ
والصَّحْبِ والتابع بالإحسان الى انقضاء عُمُرِ الزمانِ
وبعدُ يا اخي هداكَ اللهُ الى طريقِ رُشْدِهِ يرضاهُ
فهاكَ ما نَجَمْتُها مختصرا من رَجَزٍ على المهمِّ اقتصرا
فانَّ جُلَّ الوقت مصروفٌ الى ما أَلهمَ اللهُ تعالى وعلا
ممَّا يراهُ ذو النُّهى والعقلِ فرضًا بعينهِ (١ وقوفُ النقلِ
ما لا يليقُ باللبيب يُعرِضُ عنهُ الى شيءٍ سواهُ يُعرِضُ
لكنْ حقُّ القصدِ والإخاء على فروضِ اول السخاء
أوجبَ ان ابغي بهذا النظمِ ما رُمْتُهُ من ضبطِ هذا العلمِ
اجابةً لِمَا التمستَ فاتَّبِعْ هداهُ فهو غنيةٌ للمستمع

معرفة اصول الانغام

واعلم بانَّ الرَّستَ اصلُ الكلِّ عنهُ تفرَّعتْ بحكم النقلِ
وانَّهُ اولُ ما تفرَّعا عنهُ ثلاثةٌ فصارت اربعا
(2')الرَّستُ والعراقُ ثانٍ تبعُ وزروكندُ (٢ وأصبهانُ الرابعُ

المناسبة بين الاصول والاركان والاخلاط

وتوزلهنَّ على الاركانِ (٣ وعدةُ الاخلاطِ في الانسانِ
فشبَّهوا الاولَ في الآثارِ بالمِرَّةِ الصفرا وركنِ النارِ
وثانيًا بالدمِ والهواء وثالثًا ببلغمٍ والماء

١) في الاصل: ببنه (كذا) ٢) ويروى: زرفكند ٣) هو مختلّ الوزن

والختمُ بالسودا وركنِ الارضِ عن ذي الطباع فعلُها بالقرضِ
فأثّرُ الرستِ اذًا في النفسِ كطبعهِ حرارةٌ مع يَبَسِ
ومن هنا اثَّرَ بعضُها فقطْ فانقبض البعضُ بهِ او انبسطْ

بيان ابجر الانغام والاصول الاربعة

ثمَّ لهنَّ ابحرٌ فالاوّلُ ذو خمسةٍ معروفةٍ تُستعمَلُ
وهي من اليكا الى ان تَنختمْ بالنِّجكا والاصبهانِ قد عُلِمْ
كَرْدانِيا نُهفْتُ ثم الباقي كلٌّ لهُ بحرانِ باتّفاقِ
ولم يسمّيا وبعضٌ حقَّقا للاصبهانِ آخَرَين مطلقا

ذكر الابحر الثمانية المفرَّعة عن الاصول الاربعة

ثمَّ لكلِّ نغمةٍ فرعانِ فُرِّعت عن اربعٍ ثماني
(٢ْ) عن اوّلٍ فالرَّنكلا عُشّاقُ للبوسَليك والمأى العراقُ
ثمَّ ثالثٍ بُزُرْكُ راهَوي عن اربعٍ نوَى حُسيني قد رُوِي
فصارت الانغامُ اثني عَشرا واضطربوا في الوضع واللهْ (١ أدرى

ذكر كيفيَّة ترتيب الانغام الاثني عشر

إنْ يوضعِ الاصلُ وفرعاهُ معهْ او الاصول ثمَّت المفرَّعهْ
مَثنى كذا او الاصول الاربعه ورَنكلا وبوسليكُ تبعَهْ
بُزُرْكُ مع نوىً وعشّاق مأى والرّاهَوي او الحسيني قد نأى
بِتلِ ذا تُحفَظ فيا النُّسَبُ في حُكم طبعها واذ تُرتَّبُ
على البروج ونجومِها فضَعْ رابعهنَّ ثانيًا ثمَّ التَّبع
ثمَّ ببَدْءِ كل فرعينِ على ترتيبها الآنَ وبالباقي ولا
حتى يكون قوسها والمشتري (؟) لنغمة العشّاقِ عند النظرِ

ذكر الاوازات (٢ الستَّة

وفرَّعوا من كل شدَّينِ نغمْ سمّوهُ أوآزًا فبعضٌ قد رَسمْ
للرستِ والعراق نيروزٌ ولمْ يُنقَلْ لهُ خلفٌ بذا المأى حكمْ

١) كذا بتسكين آخر الاسم الكريم ٢) الاوآزه لفظة فارسيَّة بمعنى اللحن

والآخرانِ لهما الشهنازُ للبوسليك والنوى الحجازُ
وخذ لفرع زروكندَ سلمكا للزركشي مأى وزنكلا آتُركا
(٣و)والحسينيّ وعشاقٍ نُقِلْ كُوشْتُ والبعضُ مخالفٌ فقُلْ
عنهُ إزروكندَ اصبهاني كوشت والشهنازُ في البيانِ
لماءة وبوسليكٍ جُعلا حجازٌ للعشّاقِ معهُ زنكلا
وسلمكُ على الحسيني والنوى والذوقُ يدري مَن عن الحقّ التوى

ذكر الشوازّ الثلاثة المفرّعة عن الاوزان الستّة

وفرّعوا عن هذه الاوآزاتْ ما سُمّيَ الشاز ثلاث شازاتْ
عن كلّ اوآزين فرعٌ ثالثٌ منهنْ غزّال وذاك حادثٌ
عن نغمتي شهناز والنيروز لِسَلْمَكَ والزركشي العزيزِ
فرعٌ زواليٌّ واما العُكبُري فمن حجازٍ وكوشت فانظرِ ١)

ترتيب الانغام الاثني عشر كما ذكرهُ الاستاذ صفيّ الدين عبد المؤمن

وبعضُ من دقائق الفنّ حوى رتّبها العشّاقُ بعدهُ النوى
والبوسليك الرستُ والعراقُ والاصبهانُ وله اللحاقُ
بزُروكندُ وبزُركُ وزنكلا وراهويّ والحسيني تلا
ونجملُ اختتامها الحجازي ونقل الأى الى الاوآزي
وبدل الكردانيا بالزركش ولم يَبِنْ كيف عن الاصل النّشي

(٣ز) ذكر الانغام الزوائد

وما اتى ممّا عدا المذكورِ فخارجٌ عن عدّها المشهورِ
كستعار رَمَلٍ والنّهري كذا الخوارزميْ والمجيرِ
وانْ للعقل مجالَ التكثيرْ وانْ يركّبها بكلّ تقديرْ
وكلّما انتهى الى بعض العددْ ٢) زاد عليه غيرهُ ولا يُحَدْ
لكنّها لم تُسَمّ لا ولا نُقِلْ وما على عدّةِ انغامٍ عيلْ
يعزى الى الأعرفِ منها الاشهرِ وان سمّيتَ بعضها لم يُنكَرِ

---

١) كذا في الاصل والشطر غير موزون ٢) في الاصل : « الى عدده » وهو سهو

فانّهُ لا حجْرَ في التركيبِ   والفخر في ذي صنعةٍ وطيبِ
وربَّما يكون فرعٌ سُمّا   من نغَم الاصلِ الذُّ طَعْما

وصية الاستاذ المصنّف

فتَلْكُ ذا عنايةٍ في العملِ   بلذّةِ السامعِ بالمعْجَلِ
وحُسْنِ الإمتزاجِ في الشدودِ   واحذر من التنفيرِ والتبعيدِ
وان رأيت طرباً فاعمد الى   زيادة الوجد عليهِ وانقلا
الى أوازه آستلِذْ ثمّا   الى سوادهِ وكلّا ممّا
يلذّ اوّلا الى الحصارِ   وغير ذا موجبُ الإنحصارِ
(4ب) وربَّما مات بهِ ذو وَجدِ   ان كان الانتقالُ نحو الضدِّ

بيان تأثير الانغام في الامزجة من الاخلاق

فانّ عشّاقا وبوسليكا   ثمّ نوى تنيدنا تسليكا
الى شجاعةٍ وبسطِ قوّه   وتبعثُ الشخصَ على الفتوّه
يليقُ بالترك وبالزنوجِ   وساكني الجبال والعلوجِ
ثمّ لنيروز واصبهانِ   والرستِ والعراقِ في الانسانِ
بِشْرٌ ولذّةٌ وبسطٌ وانبِذْنَ   ما قد بقي منها بقبضٍ وحزَنْ
فكان في التأمّل الى الحسيني   من العراقِ نفرةُ الضدّينِ

بيان الضروب السبعة ووجوب مراعاتها

ثمّ اتقنِ الضربَ وتخفيفهُ وهَلْ   يصحّ دون ضبطك الضربَ عملْ
وجملةُ الادوارِ سبعةٌ وقدْ   خُصّ ثقيلهُ ثلاثةٌ يُعَدْ
باوّلِ الثقيل ثمّ ثانيهْ   ثم خفيفهِ فخذ معانيهْ
والرَّملُ اثنان فنطاق وما   قُيّد بالخفيفِ منهُ فاعلما
وهزجٌ والفاختيُّ السابعُ   وقلّ ما يَبني عليهِ الصانعُ

وصيّة للمُطرب

(4ب) وينبغي تلطّف القوّالِ   بعلمهِ امزجةَ الرجالِ
وحالة القولُ وان يستجمعا   لكلّ موضعٍ لطيفٍ قطعا

من اشرف الاشعار ذا صنائع　　فاعلهُ في الطف الطبائع
يوردُ كلًّا في المكان اللائق　　في نغمٍ مناسبٍ موافق
منتخبًا محاسن النظام　　يوردُهُ في أنسب الانغام
يختار للنسيب والاشواق　　واللطف مثل نغمةِ العراق
وللشجاعة وبسط النفس　　كنغمة العشّاق دون لَبس
للوجد والرقّة والحزن اي　　كزروكند والحسيني ومآي
فانَّ هذا باللبيب انسبُ　　وهو لدى كلّ الطباع اعجبُ
وتكمل اللذّة فيه واذا　　خالفهُ فقد يؤثر الأذى
او يُنقص اللذّة ثم يقصدُ　　لكلّ طبعٍ وفقهُ ويعتمدْ
فعل المداوين فلليبوسةْ　　بضدّها رطوبةٌ محسوسةْ
كمكسِهِ وباردًا يُسخّن　　كضدّهِ فعل الصحيح الذهن
وربّما وافق في العلاج　　موافق السامع في المزاج
فلا يخلّهم بتطويل ولا　　يقطعُ دون قصدهم واوّلا
(٢) يرقب حال الكبراء ثمّ مَنْ　　حرّكهُ الوجدُ مع السّمت الحسن
والاصل طيب الصوت والديانة　　فيه وصدق القول والصيانة
فان اتى مع جودة الاعمال　　فقد أتى بغاية الكمال

خاتمة الرسالة

صاحبها محمّدٌ نجلُ علي　　ناظمها ابن الخطيب الاربلي
يقول هذي غنيةٌ ان عقّل　　وقد نظمتُها بيومٍ او أقل
وذاك في بغداد للهجرة (كذا)　　تسعٌ وعشرون وسبع مئةٍ
وعدّة المجموع في نظامي　　بيت ومائة مع الختام
وكملت ارجوزة الانغام　　والحمد لله على الانعام
ثمّ على خير الورى سلامي　　ما سرحت سائمةُ الأنعام

تمّت الارجوزة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلّى على سيدنا محمّد خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلّم وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل . وكان الفراغ من

لتيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا جرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصّرهم تسمّوا باسماء كان اصلها وثنياً مشيراً الى معبوداتهم كركوريوس وذيونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انّ الاعلام نصرانيّة بين العرب على خمسة اشكال فنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الامم الكريم ومنها ما خُصّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيّة ومنها اخيراً ما دلّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح من اسماء اليهود لخروج ذلك من غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممّن ينتسبون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمّى بعضهم في الجاهليّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤) : « قُتل في الجاهليّة وهو الذي وضع النبيُّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة » . ومنهم آدم مولى بَلعنبر ذكرهُ ابو تمّام في الحماسة ولعلهُ آدم بن شدقم العنبري الذي روى له ياقوت شعراً في معجم البلدان (٣ : ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (١ : ١٧٥ ed. Freytag) : قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النبهاني » . وممّن تسمّى بابراهيم ابراهيم بن أيوب بن عروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١ : ١٥١) . ومنهم قومٌ من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ : ٤٠-٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمّوا بهِ في الجاهليّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال

لا يرون من طيور السماء الّا ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع العشر لكنَّ بلاد فلسطين واسعة ولا تخلو من طيور عديدة حتى انَّ القانونيَّ الانكليزي ترسترام (Tristram) احصى منها في السنة ١٨٨٨ نحو ٣٨٤ نوعاً وصفها في كتاب خاص. ومنذ ذلك الحين قد زاد هذا العدد زيادةً تُذكر بسعي ارباب البحث الذين لم يدعوا باباً من الابحاث الكتابيَّة الّا طرقوهُ وقد أدّى بهم اجتهادهم لمعرفة طيور فلسطين الى ان بلغوا عددها الى ٤٠٠ ثمَّ الى نحو ٥٠٠ دقَّقوا في وصفها جميعاً

وان ظنَّ احد أنَّ في هذا القول مبالغةً اجبنا انَّ جهات فلسطين مع اختلاف مناطقها من اودية ورُبى وجبال اصلح لسكنى الحيوانات عموماً والطيور خصوصاً التي تجد لاوكارها واقواتها انحاء شديدة الحرارة في وطأ بحر الميت ونهر الاردنّ وسهولاً كثيرة الخصب كسهول شارون وبطائح مرجعيون وانجاداً مرتفعة كجبال موآب ومياهاً عذبة كبحيرة جنّاسر ومياهاً مالحة كبحر الشام وقفاراً كاريحا وجهات الحولة وامكنة آهلة كالجليل وبلاد بشارة. فبكل هذه الاختلافات في المناطق ودرجات الحرارة والخصب والقفار موافقة لنموّ عدد الطير وتلوُّن اجناسها بحيث يجوز القول انَّ فلسطين جامعة لثلاثة اجناس من الطيور اعني الطيور الاوربيَّة الساكنة البلاد الباردة ثمَّ الطيور الهنديَّة التي تُرى في جنوبي آسية وأخيراً الطيور الافريقيَّة القاطنة في الحبشة وان كان عدد الاولى اوفر من سواها

ولكن دعنا نحصر بحثنا في بعض اصناف الطيور الفلسطينيَّة نريد بها جوارحها وليس الجوارح كلّها بل النهاريَّة دون الليليَّة وفي ذكرها من الفائدة ما لا يخفى فنقول

وصف الكواسر عموماً

ان كواسر الطير بالاجمال تمتاز بالخواص الآتية فانَّ لها منسراً اي منقاراً شديد الصلابة ينتهي في طرفهِ بسنٍّ مروَّس معقوف الى الاسفل وجانبا المنقار محدَّدان لتمزيق فريستها . ويدخل المنقار الاسفل نوعاً في الاعلى . ويغطي اعلى منقار الطائر جُليدةٌ صفراء لامعة فيها ثقبان هما منخراهُ يختلف جداً وضعُها وهيئتها على اختلاف انواع الكواسر . وله عينان على جانبي الرأس يمتدُّ بصرهما الى مسافات بعيدة على

خلاف الكواسر الليليَّة التي لا تستطيع ان تنظر الى غير ما هو امامها. وعينا طير الليل ثاقبان جدًّا يحرسهما حجاج قوسيّ الشكل ناتئ. ولكلّ الكواسر بالاجمال صوت ابحُّ وحزين وتمتاز هذه الطيور بمخالبها القاطعة. لها ساقان في غاية الصلابة يعلوان قدمين ذات اربع براثن شديدة العضلات ثلاثة منها الى الامام والرابع الى الوراء. وفي طرف البراثن اظافير كالأسنَّة مقوَّسة يمدّها الطائر او يقبضها على طوع غريزته وهما من ارهب سلاحهِ فاذا انقضَّ على فريستهِ علِقت بهـا تلك البراثن كالشصّ ومزّقتها وجروح هذه الاظافير لا تشفى الَّا نادرًا. واذا انتهى الطائر من افتراس الفريسة ردَّ اظافيرهُ الى شبه الغمد في اخمص رجليهِ

والجنحة هذه الكواسر كمدة اللون قاتمة وهي في الغالب كثيفة تحجب جسمها بتمامهِ حتى أنها تبلغ في بعض اصنافها اطرافَ الاقدام وتُسَرْوِل ساقيها. وللجوارح احجامٌ متباينة فمنها الكبير ومنها الصغير وبعضها لا يزيد حجمهُ على حجم الشحرور والبعض الآخر يكون على حجم الكركيّ. وقد خُصَّت هذه الجوارح بقوَّة عجيبة للطيران فاذا طارت حلَّقت في الجوّ وبسطت اجنحتها الطويلة لا ترهب الانواء وربَّما قبضت فريستها حملتها في الفضاء معها وقد وجدوها حاملةً في براثنها الارانب والخراف حتى الاطفالَ الصغار وربَّما نقلتها الى امكنة بعيدة. والكواسر تفوق على جميع الطيور بارتفاعها الى طبقات الجوّ العليا حتى انها تبلغ الى علوّ تسعة كيلومترات كما اثبت السائح اسكندر دي همبولد (Al. de Humboldt) يومَ رقي اعالي جبل شمبورازو من اطواد جبل الأنْد في جنوبيّ اميركا فبلغ الى علوّ ٦٠٠٠ متر فوق سطح البحر وكان الهواء متخلِّلًا حتى انَّ الدم جعل يسيل من أذنيهِ وانفهِ لقلَّة ضغط الهواء. واذ كان هناك رأى كاسرًا قد طار فوق رأسهِ فاذا هو طائر الكُندر الذي لم يزل يرتفع حتى صار في عينهِ على شبه العصفور الصغير وذلك بسرعة غريبة تذهل العقل. فيالله كيف يستطيع الطائر ان ينتقل هكذا في ساعته من السهول البحريَّة الى طبقات الجوّ العليا من الحرّ اللافح الى البرد القارس ومن الهواء الكثيف الى الهواء البالغ التخلُّل دون ان يجد في ذلك أذًى ولا ضررًا مع انَّهُ يتجاوز في دقائق قليلة مسافة خمسين درجة من مقياس الحرارة المئوي

ومن خواصّ الكواسر ايضًا أنهـا شديدة النَّهَم وهي مع ذلك تستطيع ان

تصبر على الاصوام الطويلة . واذا وجدت فريستها اودت بها لا محالة ولذلك تخافها بقيّة الطيور وتحتجبُ عنها. ومن رحمة الله انّها قليلة الواليد واناثها لا تنسل الّا مرّة في السنة وبيضها لا يزيد عن ثلاث بيضات وربّما باضت بيضةً واحدة. ولها اوكار تحصّنها في وجه كل عدوّ فمنها ما يعشّش في رؤوس الاشجار الباسقة او في الجبال الشاهقة. وتختار في فلسطين الصخور المرتفعة او شقوقها التي يصعب البلوغ اليها. وتكون اوكارها واسعة تتركّب من قضبان غليظة ثم لينة ثم رفيعة وتغطيها بالادغال وتهندس جدرانها الداخلية فتبسط عليها الصوف والخرق الليّنة الوثيرة. وهذه الاوكار يصطنعها الذكر والانثى كلاهما وتدوم مدّة الحضانة من ثلاثة اسابيع الى خمسة فاذا حان الوقت فقست الانثى البيضة فخرج الفرخ ورأسهُ في غاية الضخم بالنسبة الى جسمهِ وعيناه مغمضتان ويكون اذ ذاك أكولًا لا يشبع فيقوتهُ ابواهُ بلحم صيدهما فيلقّم اوّلًا الطعام ملوكاً ممضوغاً ثمَّ يُجعَل اللحم امامهُ ليقطّعهُ. وبعد ذلك يُقدَّم لهُ لحم الصيد الحي عند باب الوكر ليمزّقهُ باظافيره ويأكلهُ. واذا فعل ذلك مدّةً طردهُ الابوان من العشّ بلا شفقةٍ ليسعى لقوتهِ وحدهُ. واشرس ما تكون الكواسر في وقت تربية الصغير فانّها لا تدع احداً يقرب من وكناتها وهي تهجم حتى على الانسان اذا اراد مطاردتها

انواع الكواسر الفلسطينية

الكواسر التي تُرى في النهار في بلاد فلسطين تقسم الى فصيلتين اعني بهما فصيلة العُقبان وفصيلة الصقور

١ فصيلة العقبان

نبتدئ بذكر العُقبان وهو جمع عُقاب يريدون بهِ ما يدعوهُ الفرنج باسم « vautour » ولعلّ هذا الاسم عند العرب ادلّ على ما ندعوهُ بالنَّسر (aigle) وعلى كل حال نكتفي بالاشارة ونطلقهُ على معناهُ الشائع . وجنس العقبان (vulturidés) يُعرف بخاصّة يمتاز بها وهي تجرُّد عنقهِ من الريش وكذلك رأسهُ كثيراً ما يكون اجرد اصلع او عليهما الزغب الناعم فقط. ومن هذه العقبان اربعة انواع في فلسطين

فالاوّل وهو اصغرها واكثرها شيوعاً هو الرَّخَم ويدعى « دجاجة فرعون »

(poule de Pharaon) ويسمّيه العلماء كَنْدة لون ريشه « percnoptère »
وكثيرًا ما نراهُ في الجوّ وهو يحوم فوق مَجزر (مسلخ) بلديّة القدس في بيت عنيا
وهذا النوع يقتات من قُمامات ذاك المسلخ المنتنة فيشكرهُ الناس على ازالته تلك
النتانات وتنظيفه لتلك الامكنة الوبيئة فيسلم البلد من اضرارها . وهذا النوع اذا
كبر يكون لقاً حسن النظر وريشهُ ابيض أمّا أجنحتهُ فسوداء الى الكمدة. له
رأس اصلع وساقان صفراوان من لون الليمون الحامض . وفراخهُ سنجابية اللون
سمراء. وقد وصفهُ الدميري في كتاب الحيوان بما نصّهُ (١ : ٤١٤–٤١٥):

الرَّخَمة طائر ابقع يشبه النَّسر في الخلقة وكنيتها امّ جعران ... ويقال لها الأنوق والجمع رَخَم... ومن طبع هذا الطائر أنهُ لا يرضى من الجبال إلّا بالموحش منها ولا من الاماكن إلّا بأسحقها وابعدها من اماكن اعدائه ولا من الهضاب إلّا بصخورها ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع بيضه فيقولون اعزّ من بيض الانوق. ويقولون احمق من رخمة وانّما خُصّت من بين الطير بذلك لأنها ألأم الطير واظهرها حمقًا واقذرها طعمًا

وقد وقفنا على بيض الرخمة فهو كبير مستدير سنجابي اللون. ولدينا بيضة أخرى صغيرة الحجم يكاد ثقلها لا يبلغ ربع ثقل البيض العادي وقد باضتهُ الرخمة عندنا في مأوى مار بولس الالماني في القدس وذلك انّ احد اهل كفرعقاب اصطادها ليلًا بين صخور قرية « حسمه » فجاءها في كيسه حيّةً مع بيضة وجدها في وكرها . ولئلا تفطس اخرج رأسها واتاني بالكيس. فتركتها على حالها لتراكم الشغل عليّ مدّة ثلثة أيام ثمّ اخرجتها بعد ان اضعفها الصوم وقسوة المعاملة فربطتها باحدى ساقيها ريثما اذبحها لأصبّرها. وبعد ساعة اذ قصدنا مباشرة العمل وجدناها قد باضت هذه البيضة الصغيرة الخفيفة الثقل وكفى بذلك دليلًا على قوّة هذا الطائر الذي باض في تلك الاحوال

النوع الثاني هو العُقاب الابيض الرأس الذي يدعونهُ بلسان العلماء غريفوس (gryphus) ومنهُ في الفرنسويّة « griffon » ويسميه العرب رخًّا (١ وقد كثرت في هذا الطائر اوهام الناس حتى عدُّوهُ من التآويل واخرجوهُ مخرج الخرافات. والرخ حقيقةً ليس بطائر غريب فانهُ كثير في فلسطين. وكنا نراهُ في الاسابيع الماضية يحوم في القدس فوق جبل الزيتون فكنّا نميّز رأسهُ الابيض على زرقة السماء.

---

١) راجع في اوّل سنة المشرق (١٨٩٨) في الصفحات (٢٠٢–٢٠٥) ما كتبهُ في هذا الصدد حضرة الاب انطون صالحاني

وعلى ظلتنا انهُ كان اشتمَّ رائحة جمل ميت كانوا رموهُ عند ملتقى طريق عَناتا بطريق جبل الزيتون. ولدينا منهُ فرد آخر محبَّر كانوا اصطادوهُ عند عين فاره وطول جناحيه بالغ مترين و٦٠ سنتمترًا وقد رأيت غيره يقيس ٣ امتار. والرخ الابيض لا يبيض الّا بيضة او بيضتين في السنة والبيضة حجم كبير ولونها ابيض وتكون احياناً منقَّطة بحمرة

والنوع الثالث من العقبان وملكها في فلسطين بضخمهِ وشدَّتهِ العقابُ المعروف بالناسك او الراهب (vautour moine) دُعي بذلك لريش على عنقهِ يشبه قبعة الرهبان واسكيمهم. وفي متحفنا الاورشليمي منهُ مثال حسن اتانا بهِ عبدٌ من رعاة الاعراب تصيَّدهُ بين نبي موسى ودير مار سابا. وذلك انهُ كان يرعى المواشي في تلك الجهات واذا بعنزة من قطيعهِ ماتت في احد الايام فرمى جثتها على صخرة واختفى في مُغرةٍ ينتظر حيواناً ضارياً او طائرًا كاسرًا يقصدها لافتراسها فيرميه بالرصاص. فما لبث عقاب من نوع الرخ ان اشتمَّ رائحتها فانقضَّ عليها لكنَّ رصاصة الراعي جندلتهُ من ساعته. ثمَّ لبث قليلًا واذا بطائر آخر من نوع العقبان النسَّاك حوَّم فوق الجثة لينال منها فصوَّب البدويُّ رصاصتهُ عليه فكسر جناحهُ ثم اصطادهُ حيًّا بحبائلهِ وحمل كلا الطيرين الى منامنا بعد ثلاث ساعات وكان ربط ساقي الحي بساقي الميت وجعلهما فوق حمارهِ كالجوالق. فلمّا وصل الى بابنا واُخبرت بمجيئه انحدرت حالًا لاستقباله فاضحكني منظر الحمار المضنوك تحت حملهِ وكان اذا توقَّف في طريقه عن السير تنقرهُ عقاب الناسك في بطنه فيجّل في سيرهِ جبرًا

وفي فلسطين عُقاب عزيز الوجود يدعونهُ في لسان العلم باسم مزجي معناهُ العقاب النسر (grypætos) يريدون بذلك انهُ قريب الشبه بالنَّسر ومن امتيازات هذا النوع انَّ له ريشاً تحت منقاره الاسفل شبه اللحية ولذلك يدعونهُ ايضاً بالعقاب المُلتحي (grypætos barbatus). وقد سمّاهُ الدكتور جورج بوست في كتابه عن الطيور (ص ٥) بالأنوق لكنَّ وصف الدميري للانوق لا ينطبق عليه فانهُ يقول في كتابهِ حياة الحيوان الكبري (ص ٥) «انَّ الانوق الرخمة او طائر اسود له شيء كالعُرف او اصلع الرأس اصفر المنقار قيل انَّ في اخلاقها اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكّن من نفسها غير زوجها». وهذا الطائر صغير

القدمين عظيم الجسم سنجابيّ اللون مبقّع بنكت بيض. وحتى الآن لم اجد منهُ طائرًا بتمامهِ. ومنذ ربع القرن كتب القانوني ترسترام انَّ ما يُعرف من اشكاله في فلسطين لا يتجاوز عدد الانامل. وقبل اربع سنوات رأى سيّاح المدرسة الكتابيّة في القدس طائرًا منهُ في وادي الزرقا. شمالي شرقي بحيرة لوط لكنّهُ كان ميتًا منتنًا فقاسوا ريش جناحيهِ فاذا طول الريشة ٧٥ سنتمترًا. وقد وقع في يدي ريش عقاب آخر كان طولهُ من ٦٠ الى ٦٣ س. وفي هذا العام وقفتُ على قطعة رأسه مع لحيتهِ السبتية لهُ وقد كان احد الصيّادين رماهُ بالرصاص عند عين فاره لكنّهُ لم يعثر على جثته الّا بعد ثلاثة أيّام تحت صخر عريض وقد كانت الشواوي قد افترست معظمهُ الّا الرأس الذي ايبسته الشمس المتوقدة

٢ فصيلة الصقور

ليست فصيلة الصقور بين كواسر الطير الفلسطيني اقلّ شأنًا من العقبان لا بل تبلغ رُتَبها واشكالها ما لا تبلغهُ ضروب العقبان وانواعهُ وممّا تمتاز به هذه الطيور اجمالًا انَّ رأسها يغطيه الريش وانَّ عيونها غائرة غُؤورًا يختلف على حسب انواعها ولها المخالب الحادَّة والعضلات الصلبة المناسبة لاصطياد الحيَّات واذا فتكت بفريستها غرزت مخالبها في احشائها وقتلتها قتلًا وحيًا

ولهذه الفصيلة رُتَب عديدة يوجد في فلسطين كثير منها واولها النسر المعروف بملك الطيور الذي هو رمزٌ من القوَّة والشهامة وتتّخذهُ الدول كشارة اعلامها ونقودها. والنسر اشكال مختلفة اشهرها النسر الملكي ثم النبحري ثمَّ نسر الاقفار والصحاري ثمَّ النسر الصيَّاح والنسر المتنيل ثمَّ النسر المسمَّى اوطور (autour) ومنهُ ضربان العادي والاسمر ثمَّ النسر فيروكسي (verrauxi) والنسر المخطَّط الذنب. ثم النسر الدوَّار (circaète). ومنها شكل الحداءات التي لها ثلاثة ضروب في فلسطين الحداءة الملكيَّة والحداءة السوداء والحداءة النطاطة. ومنها شكل البواشق كالباشق العاديّ والباشق الشرس والباشق الاشقر. ومنها الشواهين الكثيرة الانواع. ومنها البُزاة المتَّخذة للصيد وهي ضروب مختلفة جدًّا يتنافسون في تربيتها وتدجينها ولها من الأثر في الصيد ما يطول شرحهُ

فهذه الاشكال وغيرها تألف جبال فلسطين وقفارها ولو اردنا وصف كل منها لطال بنا الكلام ومن ثمَّ نكتفي بذكر شكلين منها النَّسر الدوَّار (circaète) المعروف بالباحث عن الحيَّات (serpentaire) فهذا قد وجدتهُ كثيرًا في فلسطين حيًّا يخلب النظر بحسنهِ لا سيما بعينيهِ الكبيرتين اللتين تشبهان درَّتين صفراوين براقتين فلا يشبع الناظر من معاينة محاسنه . ولا شكَّ ان نظره يسحر الحيَّة فتجمد امامهُ اذا انقضَّ عليها . وهو لا يبيض الَّا بيضةً واحدة كرويَّة يُغالي الناس في ثمنها . ولهذا الطائر قدمان وعضلات عليها شبه الحراشف لا يؤثر فيها لسع الحيَّات اذا قبضت عليها ببراثنها

واحسن ما وجدنا من النسور في فلسطين نسرٌ اسود يدعوهُ العلماء فيروكسي (verrauxi) يُرى اليوم مصبَّرًا في متحفنا . والذي حصل عليه انَّما هو ذاك البدوي الاسود الذي سبق ذكرهُ وقد اصطادهُ في جبل نبيّ موسى وكلّهُ اسود فاحم الَّا اسفل ظهره الذي هو ناصع البياض . فلمَّا اتاني به الصيَّاد اخذني العجب من شكله وراجعت ما لديَّ من اوصاف الطير فلم اقف على جنسه . ثمَّ كتبت الى احد العلماء الطبيعيّين في اوربة فكان جوابهُ انَّهُ لا يعرف نسرًا من هذا الجنس . فراسلت علماء سيلازية وبراين ولندن الذين اجابوا انَّ هذا النسر ليس بفلسطينيّ بل هو من طيور بلاد الحبش وكذلك اجابني المصبّر الالمانيّ الذي تُرسل اليه من جهات المعمور كل اجناس الطيور ليصبّرها انَّ هذا النسر من غربيّ افريقية . لكنَّهم صادقوا اخيرًا على قولي بعد ان ارسلتُ اليهم الطير فعاينوهُ وتحقَّقوا انَّ هذا النَّسر ليس هو حبشيًّا فقط بل يسكن ايضًا في جهات فلسطين . ثمَّ تحقَّقت ان بعض الصيَّادين وجدوا غيره بعد ذلك

هذه نبذة صغيرة قدَّمتها لمحبّي تاريخ طير هذه البلاد ومنها يعلمون كم من العجائب زيَّن بها الخالق هذه الاقطار ولا يسع الواقف عليها الا ان يردّد قول النبي اوَّلًا « باركي يا طيور السماء للربّ وسبّحيه الى الابد »

ختام اليوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب

بقلم حضرة الخوري بطرس البستاني مدرّس الخطابة في كليَّتنا

عزَّ الصليبُ بقسطنطينَ وانتصرا   وادركت آلهُ في ظلهِ الوطرا
للهِ درُّ مليكٍ أنبتتْ يدهُ   في روضة العُرفِ غصناً لم يزل نضِرا
لئن طوتْ جسمهُ كفُّ الردى فلهُ   ذكرٌ ينمُّ بآفاق العُلى عَطِرا
هي المآثرُ تُحيي ذكر صاحبها   حتى يعمَّ شذاهُ البدوَ والحضَرا
مهما تعاقبت الأجيال وانصرمت   ففضلهُ خالدٌ في الناس ما اندثرا
ان الكنيسة في تأريخها كتبت   بالفخر آثاره الغرّاء فازدهرا
أحيتْ بيوبيلهِ ذكراهُ ناشرةً   بين الملا أثرًا في قلبها حُفِرا
تلك المآثر كنزٌ لا نفادَ لهُ   في صدرها من قديم العهد قد ذُخرا
مآثرٌ جعلت من فوق هامتهِ   اكاليلَ مجدٍ بكفِّ الفخر قد ضُفرا
فالناس في مهرجانٍ يعقدون لهُ   بين الملا حفلاتٍ عَرفها انتشرا
والدين قد قرَّ عيناً واعتلى خطرًا   محيّاً كوكباً في أفقهِ سفرا
فطأطئوا يا عداة الدين هامكمُ   واشكروا فطانتكم لا البخت والقدَرا
فكم سفكتم دماء الابرياء ولم   تُبقوا لهم بينكم عيناً ولا اثرا
وكم نشطتم الى اخفاء فضلهم   فكان ان غالبت رياهمُ الزَّهَرا
وكم سعيتم الى إفناء دينهم   فزال سعيكمُ بعد العنا هدرا
ألا أنديوا تعباً قاسيتموه بلا   جدوى وايامَ عزٍّ قد مضت بطرا
واستقبلوا من تباريح النوائب ما   يُدمي الفؤاد ويكوي السمع والبصرا
فما جنى هؤلاء الابرياء من الآ   ثام حتى جعلتم عيشهم كدرا
أهالكم ان يُميطوا عن مزاعمكم   ستراً فيلحظكم اهل الهدى شزرا
ام ساءكم ان تروا دين المسيح على   عرش الجلال يباهي الانجم الزُّهُرا
وجحفلُ الكفر من حوليه منهزمٌ   يبني له تحت اطباق الثرى حُفَرا
ان كنتمُ في ارتيابٍ من ديانتكم   فغادروها لئلا تقحموا الخطرا
وان تكولوا على الحقِّ المبين فلم   حاربتمُ ملةً لا تعرف الضَّررا

انّ الدهاليسَ والأنفاق ناطقةٌ	بجورِكم ان طويتم لتمَّ الخبرا
فكم اقاموا بها تحت الظلام وما	رأت عيونهمُ شمساً ولا قمرا
حِذارَ ان تُوسِعوا ألبابهم غُصَصاً	او تجعلوها لاطراف القنا جَزَرا
فالارضُ في عهد نيرونَ التقيّ غدت	مَجازراً حولها بحرُ الدماء جرى
عامت بها جُثث القتلى يمزّقها	وحشُ الفلا مُنشباً في صدرها الظُفُرا
والنار تقذف من احشائها حمماً	وقلب نيرونَ قاسٍ يُشبه الحجرا
قد كان يختال فخراً فوق مركبةٍ	مفكّهاً بضحايا جَوْرِه النظرا
فأدّبتْهُ يد العلياء جاعلةً	لعصبة الظلم في تأديبه عِبرا
ألا ارعَوُوا يا دُعاةَ الكفرِ وارتدعوا	واخشوا عِقاباً عنيفاً يورث الحسرا
لا تحسبوا انّ شعب الله قد لعبت	بهِ ايادي القنا او ذِكرُهُ دَثَرا
فانّما دمهُ المسفوحُ يجعلهُ	في كلّ ناحية أبهى الورى ثمرا
كحبّة البِرّ بين التُرْب قد دُفنت	فأنبتت سُنبلات خلتها دُرَرا
هو المهيمنُ يرعاهُ بمقلتهِ	م اليقظى ويدفع عنهُ الذئبَ والنمرا
كم صدَّ عنه صروفَ الدهر طاحنةً	فلم يَعُد يختشي من دهره الغِيَرا
لم يخلُ في كل عصر قطُّ من نُذرٍ	او من حُماةٍ تقي اقدامَهُ العثرا
صبّت على رأسهِ ايدي المدى محناً	سوداء لو مسّت الجلمود لانفطرا
فكان أن سخّر المولى لنجدتهِ	مَلْكاً ابيّاً بنار الغيرة استعرا
هو المظفر قسطنطين مَن ظفرت	يداه للدين تاجاً زاده خطرا
بدا لهُ في العلى رسم الصليب على	اطرافهِ كلماتٌ تدهش الفكرا
«سِرْ للوغى واحمِ قومي من عداتهم	واجعل لواءك صليبي تحيَ منتصرا»
فكان أن حطّم الاصنام متّبعاً	ربّاً حكيماً جليل الشان مقتدرا
وهبَّ للحرب صنديداً يظلّلهُ	بندُ الصليب فخاض النقع وانتصرا
وعاد يحمي النصارى منصفاً لهمُ	من العدى جاعلاً أيامهم غُرَرا
واختار «مكسنسُ» نهر «التيبر» ملجأً	وذاق فيه الردى من بعد ان دُحِرا
يا حبّذا الملك قسطنطينُ من ملكٍ	اولى النصارى جميلاً عَرفُهُ نُشرا
بفضله أطلقوا من سجنهم وغدوا	لا يرجـون اذا ما سبّحوا حذرا

لولا الصليب تذاقوا الصاب عن رغمٍ ... وبات شاهم في الارض منتثرا
لا زلتَ يا أيها الصليب ملجأنا ... من البلايا اذا صرفُ الزمان عرا
لأنت ساوتنا في وقت كربتنا ... وانت معقلنا إن حادثٌ غدرا
فلا تدع ظُلُمات الغي تحجب عن ... اذهاننا نور رشد فيك مزدهرا
فلا سلاح لنا الّا الصليب اذا ... ما سدّدوا نحونا الخطّيَّة السُّمُرا
فانهُ ترسنا في كل معترك ... حتى نفلَّ بهِ الصمصامةَ الذكرا
وهو الدواء لنا ان نابنا سقمٌ ... والموردُ العذب منهُ السعد قد فُجرا
وانهُ البلسمُ الشافي اذا طعنوا ... قلوبنا بحراب تخرق الجُدرا
فلا نرى عنه في دار الفنا شغلًا ... فمن جوانبهِ نبعُ العزا انفجرا
ألا استقوا كلكم من صدره تجدوا ... هذي الحياة نعيماً لا يرى كدرا
وفاخروا بصليب طالما افتخرت ... به الملوك وقد نالت به الظفرا
يا باريَ الخلق رفقًا بالأُلى التجأوا ... الى حماك ليقضوا في التقى العُمُرا
واجعل بجنتك العليا مقامهمُ ... ليجتنوا من ذُرى افنانها الثمرا
ان الصليبَ لواهم حيثما اتجهوا ... وهم يجيّونهُ الآصال والبُكرا
ما زال في ظلهِ الميمون جمعهُم ... لا يرهبون عدوًا قلَّ او كثرا
ان العداة تمادوا في غوايتهم ... ولم يبالوا بربّ للعدى قهرا
دعهم يهيموا ببيداء الضلال وفي ... عيونهم ظُلُمات تحجب الحِيَرا
هم آثروا الغيَّ واختاروا جهالهُ ... من بعد ما ملئت اقطارهم نُذُرا
يا ويلهم يوم تأتي الارضَ محتكماً ... فيهم وتقذفهم بين الأُلظى زُمَرا
حتى اذا لعبت نار الجحيم بهم ... ودُّوا لو أنهمُ لم يخلقوا بشرا
يا بؤس للمرء ان اغضى نواظرهُ ... عن الصليب ولم يحملهُ مصطبرا
فاسعد الناس من كان الصليب له ... شعارَ مجدٍ به يهتزّ مفتخرا

الكَلَب

بقلم الاب ده فريجيل اليسوعي
مدير مستشفى الكَلَب واحد اساتذة مكتبنا الطبي الافرنسي

(نقلنا هذا الفصل من جريدة البشير تعميماً للفائدة)

ليس كداء الكلب بعد ظهوره داء عياء قد ضاعت فيه حيل الاطباء ولم نه الطب الى دواء . ولهذا لا نرى من فائدة البتة في تعداد الادوية المتنوعة التي اختلفت مع اختلاف الازمنة والامكنة وعلق عليها القوم السذج اهمية كبرى في معالجة داء الكَلَب خصوصاً وان بعضها كأكل كبد الحيوان لا يرى العقل فيه وجه الصواب والبعض الآخر يستغربه كل الاستغراب كمنع المريض من النوم ليلة الاربعين وطرحه في الماء مغمض العينين . فقد دلّ الاختبار على ان هذه وامثالها لا طائل تحتها البتة

على انهُ ان لم يكن ثمَّ دواء يشفي من داء الكلب بعد ظهوره فهناك دواء يقي منهُ اذا ما استعملهُ المعضوض أمن شر الداء وهو تلقيح يولي الجسم مناعة ولا يترك للداء سبيلاً اليه

١ بيان ماهيَّة الكَلَب وانتشاره

ان سألنا سائل عن ماهية الكَلَب قلنا انهُ مرض معدٍ يصيب الانسان والحيوان يحملهُ على الارجح وينشرهُ ذرات حُيَيْوِنات (protozoaires) بالغة آخر حدود الصغر والدقة تعيش في الجهاز العصبي وخصوصاً في مخ الرأس ودودة الظهر كما انها توجد ايضاً في لوزات اللعاب وفي اللعاب نفسهِ

وأهمُّ ناقل لسمّ الكلب هو الكَلْب ومنهُ يتّصل بالانسان . وقد بين الاختبار ان ٩٣ في المئة من اصابات الكَلَب تتأتى من الكلب . ويليهِ القطّ ومعدَّل الاصابات الناشية به ٦ في المئة

ويصاب بهذا الداء ايضاً وينشره كثير من ذوات الثدي كالذئب وابن آوى والحصان والحمار والبغل والثور والغنم والخنزير والماعز وفي بعض الاحيان الجمل والفأر والجرذان

انَّ داء الكلب لا يحلُّ بالانسان ولا الحيوان عن غير سبب خارجي بل ان كل اصابة تتأتى عن حادث سابق فتتصل العدوى امَّا بالعضِّ وهذا الاكثر وقوعاً وامَّا بالتطعيم وامَّا ايضاً باللحس اذا وقع على جراح ظاهرة

اما مدَّة الحضانة اي الزمن الذي ينقضي من حين حدوث العدوى الى حين ظهور المرض فتكون تارةً طويلة وتارةً قصيرة لان ظهور المرض يكون عند بلوغ المادَّة السامَّة الاجهزة العصبية. وعليه تكون الحضانة قصيرة المدة جدًّا اذا كان العض في الرأس واطول اذا كان في الاعضاء العليا من الجسد والطول ايضاً اذا كان في الاعضاء السفلى. ومما يؤثّر في طول مدَّة الحضانة وقصرها عدد العضَّات وكبر الجرح وصغره. ويمكن القول اجمالاً ان اقصر مدة هي ١٥ يوماً واطولها سنتان او ثلاث سنين وفي اكثر الحوادث يكون ظهور المرض بين الثلاثين والستين يوماً من تاريخ العض

٢ تشخيص الداء

والكلَب متى ظهر سواء كان في الانسان او في الحيوان يكون خاصَّة على حالتين: حالة الهياج ثم حالة الخبل والخَدَر. وفي الشرق يكثر حدوث هذه الحالة الاخيرة في الكلاب. فني شاهدنا هذه الحيوانات عند تنزلات الشوارع تكاد لا تقوى على الدبّ وقد تصلَّب وتيبَّس ورخوها فتلك لنا علامة اكيدة انها مصابة بالكلَب. على ان ليس لمعرفة الاصابة بالكلَب معرفة ثابتة لا يشوبها ريب سوى وسيلة واحدة وهي ان يؤخذ من نخاع الحيوان المشكوك في امره ويلقح به ارنب او خنزير هندي فان كان كلباً ظهر الداء. عن الارنب من اليوم الخامس عشر الى العشرين من تاريخ التلقيح

٣ اكتشاف علاج الكلَب وخواصُّهُ

اما الفضل في اكتشاف العلاج الواقي من داء الكلب فهو عائد للعلامة پستور. وذاك العلاج كما تقدَّمنا وقلنا هو للوقاية ويقوم بحقن الشخص المعضوض بمادة تبادي مكروب الكلب سرعةً وتسبقهُ الى مراكز الاعصاب فتوليها مناعةً يستحيل معها على الميكروب ان ينمو. فهذا هو جوهر العلاج ضد الكلب

وقد قضى بستور سنوات عديدة وبحث ابحاثاً طويلة حتى توصّل الى مرغوبهِ فتوفّق اخيرًا الى الحصول بواسطة الارنب على مادة سامّة ثابتة تقتلُ جراثيمَ الكَلَب بعد وقت معلوم وهذه المادّة عينها يستعملونها في معالجة الداء في الانسان ولهذا في كل مستشفى للكَلَب ينبغي الحصول اوّلًا على تلك المادّة ويتمّ ذلك امّا بتلقيح عدّة ارانب بالمادة السامّة التي تؤخذ من كَلْب كَلِب ويواصل التلقيح بها الى ان تموت الارانب بمدة معلومة. واما بتلقيحها بلقاح يؤخذ من مستشفى آخر. ومتى ماتت الارانب بالكَلَب يؤخذ نخاع رأسها ونخاع دودة الظهر ويُستخدم في سبيل تلقيح ارانب اخرى وحقن الاشخاص المصابين. وكيفيّة الحقن هي ان تأخذ كمية من نخاع الارنب الذي مات بالكَلَب وتحلّلهُ في ماء فيزيولوجي (ماء فيهِ كمية معلومة من الملح) ثم يُحقن بهِ الشخص يومياً تحت جلد الخاصرة مدة ٢٠ يوماً

ومعالجة الكَلَب على طريقة بستور هذه تولي المناعة من المرض كما يحدث في كل تطعيم وتحصل تلك المناعة في اليوم العشرين بعد الفراغ من المعالجة وتدوم الى سنة ونصف تقريباً. ولا خوف البتة من ان المعالجة على الطريقة المعوّل عليها الآن تسبب المرض ولهذا يمكن لمن لم يكن معضوضاً ان يستعملها كواقٍ له دون خطر. ثم ان حوادث كثيرة قد دلّت على انهُ يستحيل ان تسهّل هذه المعالجة او تعجّل ظهور الداء في من اتّصلت به جراثيمه وليس من حالة من الاحوال كالمرض والحمل تحول دون استعمال علاج الكَلَب او مشابهته. كما ان لا تأثير لهُ البتة في سائر الامراض التي تحدث في اثنائه. ويمكن الاطفال الذين لا يكونون قد بلغوا السنة الواحدة من عمرهم ان يُحقنوا بلقاح الكَلَب على طريقة بستور دون ان يخشى عليهم ضرر

ويؤخذ من احصاءات كل مستشفيات الكَلَب ان معدّل الوفيات ممّن يتعالجون هو فقط ١ في ٥٢٠ مع انهُ كان قبل اكتشاف بستور من ١٢ الى ٥٨ في المئة. واذا ما ضربنا صفحاً عن الاشخاص المشتبه بامرهم ولم نلتفت الّا الى الذين تحقّقت اصابتهم ثبت لنا ان ١٠٤,٤٣٧ مصاباً قد نجوا من موت اكيد بفضل المعالجة وهذا يكفي لإقناع المعترضين وحملهم على استعمال المعالجة على طريقة بستور

والمعالجة كما قلنا ونكرر القول قائمة بالمباراة في السرعة او هي عبارة عن سباق

بين ميكروب المرض واللقاح اللذين يتوجهان الى المراكز العصبية بطرق مختلفة. ومن هذا تعرف أهمّ الاسباب التي تحول دون الحصول على الشفاء. وقد ذكرنا منها بعضها كمركز العض وعدد العضّات وتفاوتها في الكبر ونزيد عليها سبباً آخر اهمّ وهو إرجاء المعالجة وتأخيرها الى وقت يكون قد تقدّم فيه الميكروب ولا يعود ينجع فيه دواء.

فمن البديهي ان المرضى الذين يسرعون الى استعمال الحقن في الاسبوع الاول يكون خطر الموت الذي يتهدّدهم اقلّ لانه يندر جدًّا ان تتمّ حضانة الكلَب قبل ٢٥ يوماً. اما الذين لا يُحقنون قبل الاسبوع الثاني فانهم يعرّضون انفسهم لخطر اكبر لان المرض قد يظهر بين الثلاثين والاربعين يوماً كما يحدث اذا كان العض في الرأس. وقد يظهر قبل ذلك اذا كان المعضوض حدث السن. ومن هذا يتبيّن كم هو عظيم خطأ الذين يتأخرون عن الحقن الى ما بعد ثلاثة اسابيع. واكثر المستشفيات ترفض معالجة مثل هؤلاء لان المعالجة بعد هذه المدة لا تجدي نفعاً

وبما انهُ من المقرر ان نتيجة الشفاء المرغوبة تحصل بنسبة الاسراع الى اتخاذ العلاج فمن الضروري توفير مستشفيات الكلَب على قدر الامكان ليتسنّى للمعضوضين الشخوص الى احدها بمدة وجيزة وقبل ان يفوت الوقت. وقد تنبّهت للامر الحكومات المتمدنة فعدّدت هذه المستشفيات التي لا تقل الآن عن الخمسين وهو عدد كافٍ نظرًا الى سهولة وسرعة المواصلات بواسطة السكك الحديديّة. لكن الحال لا يكون كذلك اذا اقتضى الذهاب بحرًا الى تلك المستشفيات وذلك لطول مدّة السفر فان شخصاً مثلاً عُضّ في شمال سوريّة بناحية عينتاب لا يمكنهُ الشخوص الى مستشفى الاستانة او مستشفى القاهرة الّا بعد مضيّ زمن غير يسير. ثم ان هذا السفر وما يقتضيه من النفقات يتعذّر على كثيرين من ذوي الفقر

٤ مستشفى الكلَب في مكتبنا الطبي

فلهذه الاعتبارات المتقدّم ذكرها ورغبةً في خدمة المرضى من اهالي سوريّة حيث تكثر حوادث الكلَب قرّر المكتب الطبي الافرنسي في بيروت إحداث فرع لمعالجة الداء وقد افتتحنا هذا الفرع من شهر ايار من هذه السنة في بنايات المكتب

الجديدة الكائنة بقرب غابة الصنوبر على طريق فرن الشباك . وسينقل في ما بعد الى المستشفى الافرنسي الثوي انشاؤه قريباً ان شاء الله

ومن فوائد مستشفى الكَلَب هذا ان المرضى من بيروت وجوارها تتسنى لهم المعالجة مع مواصلة اشغالهم والذين يأتون من الداخلية يباشرون المعالجة بوقت قريب يضمن لهم الشفاء ويتخلصون من تكبُّد مشاقّ السفر ونفقاته التي قد تكون باهظة لكثيرين منهم ولا يعرّضون انفسهم لما في سفر البحر عادةً من المتاعب والمصاعب

ومما جاء دليلاً ساطعاً على منافع انشاء هذا المستشفى توارد المرضى اليه حال افتتاحه . ولا شكَّ في ان عددهم سيزداد عند ما تعمّ معرفة افتتاحه . ففي خلال الاربعة الاشهر والنصف التي انقضت قد تمّ لنا علاج ٤٠ شخصاً منهم ٥ من حمص و ٨ من بيروت و ٢ من طرابلس و ٨ من عاليه و ٢ من دير ميماس (مرجعيون) و ٢ من صور و ٢ من كفر حزير (الكوره) وواحد من زحلة والباقون من جوار بيروت كبعبدا والحدث الخ

وقد عالج مستشفى القاهرة ١٤٦ سورياً في العام الماضي لم يكونوا ذهبوا اليه لو كان مستشفى بيروت قد انشيء حينما اصيبوا

٥ً طريقة المعالجة في مكتبنا وشروطها

اما طريقة المعالجة فهي بالغة آخر حدود البساطة . فعلى المريض ان يحضر كلّ يوم عند الساعة العاشرة صباحاً ليلقَّح بالمادة الخاصة ويحسن ان يستحم بالماء السخن يوم حضوره لاول مرة الى المستشفى ثم ان يكرّر الاستحمام مرتين او ثلاث مرّات في اثناء المعالجة ويجب على المرضى ان لا يتخلفوا عن الحضور يومياً وان يتحاشوا التعب المفرط والبرد والمشروبات الكحولية . ولا يُطلب منهم ان يغيروا في ما سوى ذلك شيئاً من اشغالهم ومآكلهم المعتادة

ولا يغرب عن الذهن ان اعمال مستشفى الكلب تقتضي نفقات كثيرة لانهُ ما عدا رواتب الموظفين واثمان الآلات واعداد كل اللوازم يوجد نفقات اعمال التعقيم الفنّي التي تتطلب عناية عظمى وكذلك الجليد الضروري لحفظ نخاع الارانب المستخدم للمعالجة الذي ينبغي ان يحفظ في درجة باردة معلومة . ثمَّ النفقات التي يتطلبها السهر

على الارانب والعناية الزائدة بما يتعلّق بنوعها ونقلها وغذائها والنظر في الاعراض التي تظهر عليها والامراض التي قد تحدث لها او ينبغي ملافاتها . وزدْ على كل ما تقدم المسؤولية العظمى التي على مديري المستشفى واشغالهم المتعددة المتنوّعة كوجوب حضورهم في ساعات معلومة وقيامهم بالكتابات وبحفظ سجلّات المعالجات الخ

كل ذلك يبيّن انهُ ليس بالامر الكبير اذا تقاضى المستشفى المرضى كميّةً من الدراهم تساعده على مواصلة العمل . وان كانت بعض المستشفيات تعالج المرضى مجاناً فلأن رجالًا مثرين من محبي الانسانيّة قد انشأوها لهذه الغاية وخصصوا لها مبالغ وافرة كمستشفى بستور في باريس او لان الحكومات تدفع لها ما يسدّ نفقاتها . وهذه المستشفيات لا تُحرَم من التبرُّعات الوافرة التي تردها من وقت الى آخر

امَّا في المستشفيات الاخرى فالاغنياء المصابون يدفعون عن انفسهم والفقراء تدفع عنهم الحكومة (القائمقامية او المديرة او البلدية) إمَّا المبلغ برمّتهِ او بعضه فقط . ولذا نرى في الميزانيات السنوية كميات وافرة معيّنة لهذه الغاية . ولهذا يجدر بأُولي الشأن في ولايات سورية ومتصرفية لبنان ان يمهّدوا سبل المعالجة للمرضى الفقراء امَّا بدفع مبالغ سنوية معلومة لمستشفى الكلب في بيروت واما باعطاء المتمين اليهم كل نفقات المعالجة او بعضها . وان ادارة المكتب الطبي الافرنسي لا تتأخر من جهتها عن تخفيض الرسم او الاعفاء منهُ كلّما رأت الى ذلك سبيلًا وتأكد لها وجود دواعي كافية

وعلى كل الاحوال انهُ ممَّا يوجب الاسف ان كثيرين يتأخرون عن ابتداء المعالجة فتكون لهم الفائدة منها اقلَّ ويعرّضون نفوسهم لخطر موت هائل امَّا بعدم القيام بالنفقات اللازمة او لعدم تمكنهم من الحصول على المبلغ الزهيد اللازم من اولياء امورهم . على انهُ يجب ان يعلم الجميع ولا ينسوا ان الجراح التي تبان لهم في الظاهر خفيفة قد تحمل اليهم جراثيم المرض وتعرّضهم لخطر موت عاجل . وقد نبَّه غيرنا الى هذا الامر . ونحن نعلم ان حكومة متصرفية لبنان قامت بالتوجب عليها في ظروف متعددة وانفقت مبالغ غير زهيدة في سبيل تطبيب المعضوضين من رعاياها . وستتناول الفائدة من الآن فصاعدًا عددًا اوفر من المصابين لقرب المستشفى الجديد وبالتالي لقلة نفقة المعالجة فيه

وعالم واسعة ينبغي لذوي السلطة ان يتذرعوا بها لتقليل حوادث الكلب وهي ان يُعمَد بعد فترات معيّنة الى قتــل كل الحيوانات المشتبه بامرها وخصوصاً الكلاب فالقانون الافرنجي يوجب قتل كل كلب او قط او حيوان اخر عضّهُ حيوان كلِب او سطا عليه او كان فقط مشتبهاً بامره وذلك تحت طائلة العقاب. والقانون الانكليزي هو اشدّ من ذلك ولهــذا لا يوجد اثر للكلَب في انكلترة. والكلاب منتشرة كثيراً في مدن وقرى سورية وهي تنشر العدوى فيها دون انقطاع. واذا حدث ان كلباً عضّ بعض اشخاص لا يكفي قتل ذلك الكلب بل ينبغي قتل كل كلاب الجوار لانها قد تكون اخذت جرثومة المرض. ثم من الثابت ان لعاب الكلب يكون ساماً ويسبب العدوى احيــاناً قبل ظهور اعراض الكلَب الخارجيةُ بثمانية وبعشرة ايام ايضاً. وان الكلاب الصغيرة نفسها التي لا تظهر عليها علامات الشر قد تسري منها العدوى عند ما تعضّ وهي تلعب مع اصحابها

ثم ان مناسبة او عدم مناسبة المعالجة ضدّ الكلَب يرجع الحكم فيهما الى مبدئين عمليين:

كل شخص عضّهُ حيوان مات بعد ذلك باقلّ من عشرة ايام تحتم عليه اتخاذ العلاج

كل شخص عضّهُ حيوان قُتل بعد ذلك باقلّ من عشرة ايام تحتم عليــه ايضاً اتخاذ العلاج

ومن هذا يُستنتج انهُ من الاوفق في بعض الاحيان ان لا يُقتل الحيوان حالاً بل يوضع تحت المراقبــة وبطريقة لا يمكنهُ معها احداث الاذى. فان وجد ذلك الحيوان بعد انقضاء نحو ١٢ يوماً بحالة حسنة يمكن حينئذٍ الانقطاع عن المعالجة والا وجب مواصلتها

ويجب ايضاً اتخــاذ العلاج اذا كان الكلب العاضّ مجهولاً او اذا اختفى بعد العض. ثم اذا داس شخصٌ كلباً فعضّهُ وظلّ الكلب في مكانه. لان تلك علامة تدلّ اما على ان الكلب مصاب بالكلَب من نوع التخدّر والخبل كما سبق او على ان ذلك التخدّر هو آخر مظاهر الكلب الهائج

وهذا كلهُ يدل على وجوب اتخــاذ محل مخصوص في المراكز الكبيرة توضع

فيها الحيوانات المشتبه بامرها تُراقَب وتُقتل اذا ظهرت عليها اعراض الكلب وبهذه الواسطة تقلّ كثيرًا الحوادث التي تتطلّب المعالجة وتستوجبها

أخيرًا نقول ان تشريح الحيوان لا يمكن بواسطته الاهتداء الى معرفة ما اذا كان كلِبًا لان وجود الموادّ الغريبة مثلًا في جوفه قد لا يفيد شيئًا. وليس من دليل كافٍ الّا بواسطة تلقيح الارانب بشيء من نخاع رأس الحيوان المشتبه. ولهذا يحسن ارسال نخاع الحيوان العاضّ الى المستشفى كل ما امكن ذلك اذا كان قُتل. وينبغي حينئذٍ وضعهُ او في الغليسرين او في الثلج لئلّا ينتن. ولا حاجة الى التنبيه لاخذ الاحتياطات اللازمة في هذا الامر وتكليف احد الاطباء بهِ لان اللعاب والنخاع هما مسمومان ويمكنهما ان يُفشيا العدوى

النصرانية وآدابها

بين

عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة (تابع)

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانيّة

انّ اعلام الاشخاص في الأُمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك اردنا ان نفرد بابًا خاصًا للاعلام النصرانيّة التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فانّها تزيدنا علمًا بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربيّة

وممّا ينبغي التنبيه اليهِ بادئ بدء انّ الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثمّ اليونان ثمّ الرومان لا تفيدنا شيئًا بالاطلاق على توحيدهم. بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للاوثان

وخصوصاً الشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدّمة القسم الاول من كتابنا هذا . وكذلك يُستدلّ من تلك الاسماء انّ العرب كانوا يعظّمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالّة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها الّا بالقول انّ العرب ألّهوا الطبيعة في مظاهرهـا من القوّة والجمال والحياة فرأوا فيها تجلّيات معبوداتهم

ومما يولي العجب أنّنا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسماً واحداً يثبت لنا ما زعمهُ بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انّ العرب كانوا موحّدين وأنّهم اخذوا التوحيد عن ابرهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوهُ بتوالي الاعصار فالاعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى انّ اسم اسماعيل ابي العرب عينـه لم يُروَ لاحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك أنّنا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شكّاً في شرك العرب كبقيّة الامم

هذا الى عهد المسيح . وليس الامر كذلك بعد ظهور النصرانيّة فاننا اذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسط بين عهد السيّد المسيح الى ظهور الاسلام امكننا ان نبيّن من تعدادها ان النصرانية كانت دنّت في بلاد العرب وانّ تلك الاسماء انّما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي

وامّا البعض يرون انّ عدد هذه الاعلام قليلٌ بالنسبة الى ما ذكرناهُ من شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية جوابنا على ذلك : اوّلاً انّ العرب النصارى تسموا غالباً في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون ان يتزيّنوا باسماء جديدة لم يألفوها في سابق الاجيال ·

ثانياً انّ منهم من كان له اكثر من اسم واحد كما هي عـادة كثيرين من نصـارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعموديّة يسمّون اولادهم باسم يدلّ على نصرانيتهم وامّا في المعاملات العاديّة فكانوا يطلقون عليهم اسماً آخر مألوفاً كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثاً لا بل نعرف من شهـادة تاريخهم انّ بعض النصارى في جزيرة العرب تسمّوا باسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونُسي معناها الاصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب اليه بنو عبد

القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلًا. وهكذا جرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانّهم بعد تنصُّرهم تسمَّوا باسماء كان اصلها وثنيًا مشيرًا الى معبوداتهم كركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنَّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انَّ الاعلام نصرانيَّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدَّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصَّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيَّة ومنها اخيرًا ما دلَّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدَّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممَّن ينتمون غالبًا الى القبائل التي اثبتنا نصرانيَّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمَّى بعضهم في الجاهليَّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): « قُتل في الجاهليَّة وهو الذي وضع النبيُّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْعَنبر ذكرهُ ابو تمَّام في الحماسة ولعلَّهُ آدم بن شدْقم العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعرًا في معجم البلدان (٣٧٣:٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (١٧٥:١ ed. Freytag): قال ابو العلاء: ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلَّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النبهاني ». وممَّن تسمَّى بابراهيم ابراهيم بن أيوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١: ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١: ٤٠-٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمَّوا بهِ في الجاهليَّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال

لا يرون من طيور السماء الّا ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع العشر لكنّ بلاد فلسطين واسعة ولا تخلو من طيور عديدة حتى انّ القانونيّ الانكليزي ترسترام (Tristram) احصى منها في السنة ١٨٨٨ نحو ٣٨١ نوعاً وصفها في كتاب خاص. ومذ ذاك الحين قد زاد هذا العدد زيادة تُذكر بسعي ارباب البحث الذين لم يدعوا باباً من الابحاث الكتابيّة الّا طرقوه وقد أدّى بهم اجتهادهم لمعرفة طيور فلسطين الى ان بلغوا عددها الى ٤٠٠ ثمّ الى نحو ٥٠٠ دقّقوا في وصفها جيداً

وان ظنّ احد أنّ في هذا القول مبالغةً اجبنا انّ جهات فلسطين مع اختلاف مناطقها من اودية وربى وجبال اصلح لسكنى الحيوانات عموماً والطيور خصوصاً التي تجد لاوكارها واقواتها انحاء شديدة الحرارة في وطأ بحر الميت ونهر الاردنّ وسهولاً كثيرة الخصب كسهول شارون وبطائح مرجعيون وانجاداً مرتفعة كجبال موآب ومياهاً عذبة كبحيرة جنّاسر ومياهاً مالحة كبحر الشام وقفاراً كاريحا وجهات الحولة وامكنة آهلة كالجليل وبلاد بشارة. فكل هذه الاختلافات في المناطق ودرجات الحرارة والخصب والقفار موافقة لنموّ عدد الطير وتلوّن اجناسها بحيث يجوز القول انّ فلسطين جامعة لثلاثة اجناس من الطيور اعني الطيور الاوربيّة الساكنة البلاد الباردة ثمّ الطيور الهنديّة التي تُرى في جنوبيّ آسية وأخيراً الطيور الافريقيّة القاطنة في الحبشة وان كان عدد الاولى اوفر من سواها

ولكن دعنا نحصر بحثنا في بعض اصناف الطيور الفلسطينيّة نريد بها جوارحها وليس الجوارح كلّها بل النهاريّة دون الليليّة وفي ذكرها من الفائدة ما لا يُخفى فنقول

وصف الكواسر عموماً

انّ كواسر الطير بالاجمال تمتاز بالخواصّ الآتية فانّ لها منسراً اي منقاراً شديد الصلابة ينتهي في طرفه بسنّ مروّس معقوف الى اسفل وجانبا المنقار محدّدان لتمزيق فريستها. ويدخل المنقار الاسفل نوعاً في الأعلى. ويغطي اعلى منقار الطائر جُلَيدةٌ صفراء لامعة فيها ثقبان هما منخراهُ يختلف جدّاً وضعُها وهيئتها على اختلاف انواع الكواسر. وله عينان على جانبي الرأس يمتدّ بصرهما الى مسافات بعيدة على

(Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246) . وسُمّي بهذا الاسم الاسم ايضاً رجلان من الصحابة اسماعيل الزُّبيدي ورجل آخر ذكرهما ابن الاثير في أُسد الغابة (ج١ص٧٩–٨٠)

(اشَعيا) هو اسم احد الرُّهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

(الياس) ورد هذا الاسم لاحد اجداد نبيّ المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠) وقد زعموا انّ الاسم مشتق من يئس والصواب انّ الاسم عبرانيّ الاصل وبهِ سُمّي النبي الياس الشهير وبهِ سُمّي بعد الاسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية (اطلب تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٤) . ومن المحتمل انّ اسم « اياس » الشائع عند العرب هو صورة مختلفة لاسم الياس. وبهذا الاسم عُرف احد النصارى وهو اياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية (ص٩٣) شيئاً من شعرهِ. وكان احد سادة قومهِ وابنهُ اياس كان عاملاً لكسرى انوشروان على الحيرة . وممّن عُرف بين عرب النصارى باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سينا سنة ٣٨٠ تذكارهُ في ٢٠ تشرين الثاني. وكذلك الياس بطريرك اورشليم (٤٨٠–٥١٨) القديس كان مولدهُ في جزيرة العرب

(أيوب) هو اسم بعض العرب في الجاهليّة منهم أيوب بن مَحروف وهو جدّ الشاعر النصراني عديّ بن زيد . قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغانيّ (٢ : ١٨) : «كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ اوّل من سُمّي من العرب أيوب » . وذكرهُ في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنهِ ابرهيم عمّ الشاعر عديّ بن زيد وروى قول ابن الكلبيّ فيهما قال : « ولا اعرف في الجاهليّة من العرب أيوب وابرهيم غير هذين وانّما سُمّيا بهذين الاسمين للنصرانيّة » . وقد ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١٦٢) رجلين من الانصار دُعيا بأيوب ولا شكّ انّ هذا الاسم كان اسمهما في الجاهليّة وهما « أيوب بن بشير الانصاري وأيوب بن مكرز » . وقد ذكر البحتري في حماستهِ (اطلب طبعتنا ص ٢٦٠و٢٦١) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاهُ عُبيد بن أيوب . وكذلك ورد اسم أيوب في شعر النابغة حيث قال (شعراء النصرانيّة ص ٦٥٥) :

مستشرينَ قدَ الَقَوا في ديارهمُ دُعاء سُوعٍ ودعميٍّ وايُّوبِ

يريد انَّ بني تُميَنٍ دعوا الى الحرب هذه الاحياء الثلاثة قال الشارح : « وهم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان »

(بَنيامين) هو احد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

(حنَّة) هذا الاسم ورد للذكور والإناث فهو كحنَّان ويوحنَّا . امَّا للاناث فهو كاسم حنَّة امّ صموئيل . ومن الاوَّل حنَّة والد عمرو الصحابيّ الانصاريّ وابو حنَّة البدري ذكرهما في تاج العروس (٩ : ١٨٥) . وامَّا من الثاني فحنَّة بنت هاشم بن عبد مناف القرشيّ عم محمَّد ذكرها اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٨١و٢٨٣)

(حوَّاء) ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (٥ : ٤٢٩) اربع نسوة من الانصاريَّات عُرِفن باسم حوَّاء فتسمَّين بهِ في عهد الجاهليَّة وهنَّ حوَّاء بنت السكن امّ بجيد الحارثيَّة زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة . وحوَّاء بنت رافع بن امرئ القيس . وحوَّاء بنت زيد بن السكن وكلّهنَّ من بني عبد الاشهل . والرابعة حوَّاء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شمَّاس . وقد اختلفوا في نسبهنَّ وعددهنَّ

(حيقار) هو من الاسماء الكتابيَّة ورد في سفر طوبيًّا في الترجمة اليونانيَّة (١ : ٢٣) . وفي تاريخ الطبريّ (١ : ٧٤٥) انَّ احد بني معدّ بن عدنان الذين خرجوا مع اليمنيين الى الريف كان يدعى بالحَيقار بن الحيق

(داوُد) هو احد اعلام النصرانيَّة المتواترة في الجاهليَّة . واقدم من عُرف بهِ احد ملوك الضجاعمة الذين سبقوا غسان وتنصَّروا مع بني سليح واسمهُ « داود اللثق » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٦) « هو الذي يُضاف اليهِ دير داوُود بالشام وقد ملك زمانًا » . وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبهُ فقال : « هو داود بن هبولة اخي هبالة بن عمرو بن عوف بن ضَجعم » . ويروى اسم داوُود على صورة دؤاد قال الاسود بن يعفر (حماسة البحتريّ ص ٨٣) يصف منازل آل محرّق :

ارضٌ تخيّرها لطيب مَقيلها كعبُ بن مامة وابنُ امّ دؤادِ

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهليَّة « ابو دؤاد الايادي » اطلب شعرهُ في حماسة البحتري (ص ٨٧) . وقد ذُكر هناك (ص ١٤٤) شاعر آخر دُه

داؤد وهو داود بن حَمَل الهمداني. ومن موالي الانصار داود بن بلال (ذكرهُ في أسد الغابة ٢: ١٢٩)

(زكريّا) دُعي بهذا الاسم احد بني خزاعة وهو زكريّا بن علقمة الخزاعي ذكرهُ ابن الاثير في أسد الغابة (٢: ٢٠٥) وقال انهُ دُعي ايضاً كُرْزًا. وذكر في الاغاني (١٩: ١٢) زكريّا بن ثباء الثقفي

(سُلَيمان) ذكر اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٩) بين حكّام العرب في الجاهلية سليمان بن نوفل ممّن حكّموهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم. وذكر البحتري بين قدماء الشعراء (في حماسته ص ٢٢٦) سليمان بن المهاجر العدوي. وروى ابو تمّام (ص ٤٣٥) شعرًا لسُليمان بن قتّة. وذكروا بين الانصار عدّة رجال دُعوا باسم سليمان كسُلَيمان الليثي بن اكيمة وسُلَيمان ابن ابي حثمة القرشي وسُليمان بن صُرَد الخزاعي وسُليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أُحد وسليمان بن مُسْهِر وسليمان بن هاشم ابن عُتبة القرشي (اطلب أسد الغابة ٢: ٣٥٠ — ٣٥٢). ولعلّ الذين تسمّوا في الجاهلية بسُلَيم وسلّام وسَلمان وسالم اشاروا باسمائهم الى سُليمان. والدليل عليهِ ما ورد من الشعر في سُلَيمان الحكيم بتغيير صورة اسمهِ فدعاهُ الاسود بن يعفر سلّاماً قال (التاج ٨: ٣٤٤):

ودعا بمحكمةٍ امينٍ سكُّها من نسج داودَ ابي سلّامِ

ومثلهُ للحطيئة:

فيهِ الرماحُ وفيهِ كل سابغةٍ جدلاء مُحكَمَةٍ من نسج سلّامِ

ودعاهُ النابغة سُلَيماً فقال ناسباً اليهِ نسج الدروع (ديوانهُ ص ٩٩)

وكلّ صَموتٍ نَثلةٍ تُبَّعيّةٍ ونسج سُلَيمٍ كلّ قضّاء ذائلِ

(سِمْعان) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كتابيّاً او نصرانيّاً محضاً وقد دُعي بهِ قوم في الجاهلية منهم سِمعان بن عمرو بن قريط سيّد بني كلاب الذي كتب اليهِ رسول المسلمين يدعوهُ الى الاسلام فرقع دلوهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٦—٢٠ ed. Wellhausen) ثمّ خاف واسلم. وذكر ابو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٥٩ ed. Goldziher) سمعان بن هُبَيرة قال «وهو ابو السمّال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة» وقالوا انهُ كان في الردّة. وفي أُسد الغابة

لابن الاثير (٢ : ٣٥٥) صحابيّان كان اسمهما سمعان وهما سمعان بن خالد الكلابي وسمعان بن عَمرو بن حجر ولعلّ الاوّل منهما هو الذي ذكرهُ ابن سعد. ولم سمعان ورد ايضاً على صورة شِمْعون (راجع ياقوت معجم البلدان ٢ : ٦٧٢)

(السَّمَوْءَل) وهو سموئيل وصُموئيل وشموئيل ايضاً. وقد اثبتنا في ديوان السموءل ما يرجّح كون السموءل بن عاديا. نصرانيّاً وعليهِ يكون الاسم شاع ايضاً بين النصارى. وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبرًا من اليهود يُدعى سموئيل بن زيد (ص ٣٥٢ و٣٩٨ ed. Wüstenfeld)

(عِمْرَان) ومثلهُ (عَمْرو) اسمان شائعان بين عرب الجاهليّة ولعلّهم استعاروهما من عَمرام وعُمري الواردين في التوراة فعمرام هو ابو موسى وهارون ومريم (عدد ٣ : ١٧) ورُوِي في القرآن عِمران فجعلهُ كابي العذراء مريم (٣ : ٣١ و٦٦ : ١٢) . وعُمْري اسم لاحد ملوك اسرائيل ولبعض ابناء اسرائيل. وممن اشتهر باسم عمرو في الجاهليّة عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قيئة وعمرو بن الاهتم التيمي وغيرهم . واشتهر باسم عِمران عِمران ابن مرَّة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

(مريم) تعدّدت نساء العرب المدعوّات بمريم نذكرهنَّ في الباب التابع

(موسى) دُعي بهِ بعض العرب قبل الاسلام كموسى بن الحارث (سيرة الرسول ص٢١١) وابي موسى الاشعريّ (ابن سعد ٧٠) وموسى بن جابر الحنفيّ احد شعراء الحماسة قال في خزانة الادب ولبّ لُباب لسان العرب (١ : ١٤٦) : «هو احد شعراء بني حنيفة المكثرين يقال لهُ ابن الفريعة وهي أمّهُ ويقال كان نصرانيّاً». وكان اسم رسول النسائيين موسى وهو متحيّرهم في القرن الرابع كما مرَّ في القسم الاوّل. وكذلك احد المستشهدين من نسّاك العرب في جبل سينا سنة ٤٧٣ كان يُدعى موسى

(لوط) ذكر ابن سعد في الوفادات (ص١٩ ed. Wellhausen) في جملة الرواة المعاصرين لنبي المسلمين «لوط بن يحيي الازديّ»

(النُّعْمان) اقدم من ذكرهُ التاريخ بهذا الاسم النُّعمان بن بنيامين بن يعقوب (تكوين ٤٦ : ٢١) وبهِ عُرف قائد ملك سوريّة الذي ابرأهُ اليّا النبيّ. وقد شاع ... العرب ... ولعلّهم استعاروهُ من الاسفار المقدّسة

(نوح) سُمّي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجالد وورد ذكرهُ في أُسد الغابة (٥:١٥) . وذكر في الاغاني (٢١:١٠) رجلًا دعاهُ بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا اسم احد من الجاهليَّة دُعي بهارون. ولعلّ هارون بن النعمان بن الاسلت الاوسي (الاغاني ١٥:١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سُمّي به قبل الاسلام

(يَعْقُوب) كان من شهداء طور سينا سنة ١٧٣ المسمّى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥:١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهليَّة الذين أسلموا يَعْقُوب بن اوس ويَعْقُوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمْعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٤:٦٤) من جملة المُغنّين في اوَّل عهد الاسلام يعقوب بن الجبَّار

(يُوسف) عُرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sanctorum, III Apr., p. 19) ومن المدعوّين به يوسف بن الحكم الثقفي وكان في اوَّل ظهور الاسلام. وذكر ابن الاثير (٥:١٣٢) يوسف النهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبيّ . وذكروا بينَ الانصار يونس بن شدَّاد الازدي ويونس الظَّفَري الاوسي (اسد الغابة ٥:١٣٢) فالاسم سبق الاسلام. والدليل عليه ايضًا اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس (Jonas). ولعلّ هذا الاسم اذا شُدّدت النون يراد به اسم يوحنَّا النصراني على لفظ اليونانيَّة (Ἰωάννης) والله اعلم

(لهُ بقيَّة)

مدرسة الحقوق الرومانيَّة في بيروت

لحضرة المسيو پول هوڤلين احد اساتذة مكتب الحقوق في ليون

هو الخطاب الذي القاهُ في حفلة افتتاح مكتب الحقوق الفرنسويّ الجديد اللاحق بكليتنا في ١٨ من الشهر المنصرم بتصدُّر سعادة الاميرال بوى دي لاپيرير القائد العام لاسطول البحر المتوسط الفرنسوي وحضور دولة متصرّف لبنان يوسف باشا وسعادة قنصل فرنسة العام المسيو كوجه وممثل دولة والي الولاية ومدير مكتب الحقوق السلطاني في بيروت مع اركان وضبَّاط الاسطول ونخبة من اصحاب الوجاهة وارباب العلم والادب في مقدمتهم رؤساء رعياتنا ومديرو المدارس في بيروت . فبعد ان رحَّب الخطيب بالوافدين أخذ يا تبيّن

فرنسة وبلاد الشرق من الآمال الطيّبة على مكتب الحقوق الجديد الذي عُقدت هذه الحفلة لافتتاحه فيأتي كالمكتب الطبي الذي سبقهُ بالاثمار الجنيَّة لخير الوطن وخدمة ابناء الشرق. ثم تخطّى الى ذكر مدرسة أُخرى شاعت في العالم الروماني وشرّفت مدينة بيروت مدَّة ثلثة قرون يُعنى اعني مدرسة الحقوق الرومانيَّة فافاض في الكلام واجاد ثمَّ وجد في تلك المدرسة خير ضامن لنجاح المكتب الجديد ودونك تعريب خطابهِ:

ليست هذه المرَّة الاولى حظيت بيروت بمدرسة للحقوق فانَّها في سالف الزمان اضحت مركزاً ممتازاً لتعليم الشرائع ولعلَّ اهل عصرنا قد فاتهم ذكر ذلك المعهد العلميّ لمرور خمسة عشر او ستَّة عشر قرناً على تاريخهِ وكانت الدولة الرومانيَّة في ذلك العهد كما تعلمون باسطة سلطانها على انحاء العالم التمدّن الممتدّ حوالي البحر المتوسط فتسنّ بشرائعها على امم متباينة كثيرة الاختلاف وتنشر بينها مع «سلامها الرومانيّ» فنّ حقوقها

واذا امعنّا النظر في دستور الرومان وجدناهم قد احسنوا تأليفهُ فكادوا ان يجعلوهُ في وثاقتهِ شبيهاً بابنيتهم العجيبة وقد ركَّبوا اجزاءهُ بمواد صلبة متراصّة حسنة الالتحام تستطيع الصبر على آفات الزمان. ولم يخلف ذلك العمل ظنّهم والدليل عليهِ انَّ الدستور الرومانيّ ثبت مع توالي الدهور ولا يزال ثابتاً. فانَّ اصول الحقّ الرومانيّ جاريةٌ حتى يومنا في شرائع الدول الحاليَّة وهي تُعرف بخواصها كشمولها للاحكام العموميَّة ووضوح صورتها والتوازن الذي يلوح فيما بين لزوم اصحابها للنظريَّات وفهمهم الضروريَّات العمليَّة بحيث يصحّ القول انَّ الحقّ الرومانيّ اضحى الركن المتين لكلّ الآداب الشرعيَّة ولتعليم الفقه المدرسيّ

فهذا الدستور قد وجد في سوريَة منذ القرن الثاني للمسيح مقاماً ممتازاً يوافق نشرهُ في التعليم. ولعلَّ القياصرة الرومانيين المولودين في بلاد الشام واوَّلهم سبتيميوس ساويروس الذي جلس على عرش الامبراطرة سنة ١٩٣ اخذوا في صحبتهم الى رومية قوماً من مواطنيهم ادخلوهم في محاكمهم ونظموهم في اهل شوراهم. واذ كان هؤلاء الرجال ذوي عقول نيّرة اضحوا بعد قليل فقهاء نطاسيّين برزوا بين رصفائهم. وممَّا يُذكر فيُشكر ان رجلين من اكبر الفقهاء الذين خلَّد التاريخ اسمهم بالثناء العاطر كانا من اهل الشام واحدهما يُدعى أُلبيان (Ulpien) وهو اوسع مشاهير كتبة الفقه تأليفاً واوفرهم علماً اصلهُ من مدينة صور التي يدعوها في بعض كتبهِ

« مستعمرة فينيقية البهيَّة ». أمَّا الآخر فيُدعى بابينيان (Papinien) وقد فاق على امثالهِ بعقلهِ الثاقب ونظرهِ البعيد وهو يُعَدّ كابنة فنّ الحقوق ونسيج وحدهِ في ردّ قوانين الفقه الى اصول عموميَّة تربط شوارده. وكان الامبراطور ساويروس صهر بابينيان تزوَّج اختهُ يوليا دومنا الحمصيَّة والمرجَّح أنَّهُ كان مولودًا في حمص مثلها. ومنهُ يتَّضح انَّ سوريَّة انشأت احد الاساتذة المتقدّمين في علم الحقوق ان لم نَقُل إمامهم جميعًا حتى يومنا. هذا لعمري من شأنهِ ان ينشّط همَّة طلبة مكتبنا وأملنا ان تسيروا على آثار آبائكم ومن اشبهَ اباهُ ما ظلم لاسيَّما انَّ احوال جوّكم لم تتغيَّر وانَّ دم اجدادكم يسيل في عروقكم فلا غرو ان تأتي التربة الواحدة بالثمر عينهِ فيحيا السلفاء في خلفائهم

ويوسعنا أن نضيف الى الفقيهين السابقين رجالًا شرَّفوا سوريَّة مثلهما بمعارفهم الفقهيَّة. فانَّ المرجَّح مثلًا انَّ كلوديوس تريفونينوس (Cl. Tryphoninus) الشهير بمصنَّفاتهِ في الحقوق كان سوريّ الاصل وقد قلَّدتهُ الدولة سنة ٢١٣ منصبًا شريفًا في بيروت

وليس بالمستبعد انَّ هؤلاء العلماء بشهرة مآثرهم ألفتوا الى وطنهم نظار الدولة فأنشئت فيهِ مراعاةً لجانبهم مدارس الحقوق وان لم يمكنّا القطع بهذا الامر. وممَّا لا ريب فيهِ انَّ الحكومة الرومانيَّة اختارت سواحل الشام لالقاء هذه الدروس في اوائل القرن الثالث للمسيح. فاشتهرت مذ ذاك الحين مدرستان كان مقام الواحدة منها في مدينة قيصريَّة الواقعة بين يافا وحيفا. وهذه لم تُبقِ لنا من مآثرها الَّا النزر القليل. امَّا الثانية التي نحن معرفتها فكان مركزها في بيروت المدعوَّة عند الرومان « بمستعمرة يوليا اوغستا السعيدة بيريتوس »

فما فتحت مدرسة بيروت ابوابها للطالبين حتى اصابت بزمن قليل شهرةً مستفيضة ونجاحًا كبيرًا كما تشهد على ذلك كتابةٌ لاتينيَّة تاريخها سنة ٢٣٨. ثمَّ أيَّد ذلك في اواسط القرن الرابع مؤلف كتاب وصف المعمور (Expositio totius mundi) الشبيه بدليل بديكر في عهدنا فكتب من بيروت ما تعريبهُ: « بيروت مدينة غاية في البهجة (valde deliciosa) فيها مدارس للحقوق لتعليم كل الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة لأنَّ فيها يتخرَّج المحامون القانونيُّون لمحاكم العالم كلّهِ.. »

وبلغت هذه المدرسة في اواخر القرن الخامس للميلاد مقاماً رفيعاً فاقت به على مدارس القسطنطينيَّة ورومية . ولمَّا ألغى الملك يستنيان بعض المراكز العلميَّة التي رآها سيئة النظام كمدارس أثينة والاسكندريَّة وقيصريَّة لم يترك سوى مدرسة بيروت لتكون بين مدرستي رومية والقسطنطينيَّة حاضرتي الدولة الرومانيَّة . ومع ما أصيبت به بيروت من النكبات لم ينطفئ نبراس تعليمها حتى بعد الفتح الاسلامي . بل نجد في التاريخ بعض آثار حركتها العلميَّة الباقية من بيانها القديم الى القرن الثامن

ولا غرو انَّ نظام مدرسة الحقوق الرومانيَّة في بيروت كان حريًّا بالاعتبار لولا انَّ آفات الدهر لم تُبقِ لنا تفاصيلهُ الدقيقة . وما نعلمهُ من ذلك انَّ العمدة المدرسيَّة في عهد الملك يستنيان كانت تتركَّب من اربعة معلّمين كانوا يدرّسون الفقه في اللغة اليونانيَّة وينتدبهم الامبراطور نفسهُ لهذه المهمَّة . وكان للتلامذة اختصاصات جمَّة ويدوم درسهم اربع سنوات فالسنة الاولى كانوا يُدعَون باسم عَزْلي (dupundii) معناهُ تقريباً « ذوو التاليكين » تشبيهاً لهم بالمتجنّدين حديثاً في الجيش الذين كانت اجرتهم اليوميَّة في سنتهم الاولى تساوي التاليكين في عصرنا . وكانوا في السنة الثانية يدرسون قوانين القضاة والحكَّام فيُطلَق عليهم لذلك اسم القانونيين (edictales) . وكانوا يسمَّون في السنة الثالثة اصحاب بابنيان (Papinianistæ) لدرسهم الدستور الذي صنَّفهُ هذا الاستاذ الشهير . امَّا السنة الرابعة فكانوا معافين من حضور الدروس فيدعونهم لذلك باسم يونانيّ معناهُ الاحرار (Αὐταί)

ولمَّا تولَّى يستنيان الملك اصلح شيئاً من امور الدارسين وغيَّر نوعاً ألقابهم وسعى في ضبط نظام المدرسة . ولا مراء انَّهُ لم يُقدِم على هذه الاصلاحات الَّا لدواعٍ اضطرَّتهُ اليها . والحق يقال انَّ بعض النصوص التاريخيَّة التي روت لنا اخبار مدرسة بيروت وصفت ايضاً تلامذتها بالبَطَر والجموح فتضايقَ المعلّمون من تحاملهم عليهم وشغبهم في اثناء الدروس كما أنهم كانوا يتطاولون على الطلبة الجدد فيؤذونهم بسخرياتهم . ولنا على ذلك شاهد عيانيّ لطيف روى لنا ما جرى له يوم دخوله في مدرسة بيروت الفقهيَّة . ألا وهو زكريا الاستاذ (Zacharias Scholastikos) الذي كتب بالسريانيَّة ترجمة حياة ساويروس زعيم اليعاقبة واوَّل بطاركتهم الدخلاء وكان رفيقهُ في الدروس فاخبر انَّ ساويروس سبقهُ الى مدرسة بيروت في خريف سنة

٤٨٧ للميلاد فتبعهُ زكريّا السنة التالية اعني في خريف سنة ٤٨٨ فوجد ساويروس في صفّ القانونيّين قال :

ولمّا قدمتُ الى بيروت لادرس الحقوق كنتُ موجساً خوفاً من مداعبات تلامذة الصفّ الثاني المعروفين بالقانونيّين التي اعتادوها مع الطَلَبة الجدد وهي مازحات يعاملونهم بها اضحوكةً بازاء أترابهم وان لم تبلغ سخرياتُهم الى حدّ الأذى. وكنت اخشى على الاخصّ من ساويروس الذي عُرف بعد ذلك بحسن سلوكهِ أن يستخفّ بي وكنت افكّر قائلاً في نفسي: ساويروس فتيُّ السنّ فلا بُدَّ ان يجري على آثار رفقتهِ ويهزأ بي. فلمّا دخلتُ مدرسة لاونتيوس ابن اندوكسيوس الذي كان يعلّم الحقوق ويعتبرهُ الطلبة ايّ اعتبار لعظم فضلهِ رأيتُ بين الدارسين ساويروس جالساً عند اقدام الاستاذ منصتاً الى تعليمهِ فليس فقط لم يهزأ بي بل عاملني بكل لطف وتحفّى بي وسلّم عليّ آنساً بوجه بشوش فشكرتُ الله على هذه النعمة الوافرة

فهذا الكلام يشير الى عادات طلبة مدرسة الحقوق في ذاك العصر ولا غرو ان كثيراً من الدارسين الاحداث لم يحظوا كزكريّا برفقة كساويروس أنِسوا بهم بل صادفوا شبّاناً خفاف الطباع انتهزوا الفرصة ليذيقوهم الامرّين بضروب الهزل والسخريّة

ولكن دعنا من ذكر هذه المداعبات الدالّة على نزق شبّان ذلك العصر لنبيّن ما صار لمدرسة الحقوق البيروتيّة من النفوذ نظريّاً وعمليّاً. ومن المقرّر في عهدنا انّ الحقّ الروماني الذي كان شائعاً في آخر اطوار الدولة الرومانيّة كما اثبتهُ يستنيان في دستورهِ وصار بعد ذلك ركناً للشرائع المستحدثة هو نتيجة امتزاج الحقّ القانوني الايطاليّ القديم المعروف بخشونتهِ وضيق دائرتهِ بالدستور الجاري في الاقاليم الشرقيّة المصبوغ بصبغة يونانيّة وهو اكثر مرونةً واوسع مجالاً. والفضل في اندماج الدستورين انّما هو عائد الى مدرسة الحقوق البيروتيّة التي مهّدت الطريق لذلك بِرفق مع تمادي الزمان. ويشهد على هذه المساعي المشكورة كتابٌ عجيب يُعزى الى كاتب من هذه البلاد يتضمّن العادات المألوفة قديماً فيها وهو يُعرف بالكتاب السوريّ الروماني وكنت وددت لو يسمح لي الزمان برواية بعض فصولهِ. ولنا على قولنا ادلّة اخرى اخصُّها اشارات متعدّدة تُقرأ في معظم تآليف الحقّ البوزنطيّ

وقد اتسعتُ في هذه الفوائد التاريخيّة حتى كاد يعيل صبركم لكنّ لطفكم يمهّد لي المعذرة. فليت شعري أيستطيع احد اساتذة الحقوق مثلي ان يلقي بازاء عينهِ

صورة بالبيان دون ان يُبترى السلام شيخ فنّ الحقوق ولا سيما انا قائم في هذا المحفل لابشّركم بافتتاح مدرسةٍ اتوسَّم فيها النجاح فتفتخر بكونها سليلة تلك المدرسة السالفة وتحيي ان شاء الله آثارها الطيّبة

فمدرستنا هذه الجديدة تنتمي اذن الى رومية حيث كان أجدادها من الرومان ولكنها فضلًا عن ذلك هي ابنة فرنسة ايضًا لأنَّها دعوةٌ انتدبتها الدولة الفرنسوية الى انجازها. وان سألتم ماهذه الدعوة التي حدَتْ بفرنسة الى ان تحيي بينكم رمم تلك المدرسة الطامسة الآثار منذ قرون مديدة أجبتكم أنها الدعوة ذاتها التي مهدت اليها امني نشر دستورها الذي هو مثال دستور العدل والاخاء في اقطار العالم. وهي لعمري دعوة غايةٌ في الشرف يشهد عليها التاريخ. فانَّ فرنسة منذ ثلثة اجيال قد عُرفت كوطن الحقوق. وقد دوّنت موادَّ تلك الحقوق في دستورها الذي يفوق على كل دستور سواهُ بنفوذهِ وانتشارهِ فترى احكام لويس الرابع عشر في الدعاوي المدنيَّة (سنة ١٦٦٧) وفي الدعاوي الجنائيَّة (١٦٧٠) وفي المعاملات التجاريَّة (١٦٧٣) وفي نظام البحريَّة (١٦٨٠) قد ائتمّت بها معظم الدول. وقد شاع على الاخصّ في انحاء المعمور دستورنا الفرنسويّ الكبير الصادر في مفتتح القرن التاسع عشر. فتتأدَّة الدول كأنَّ فرنسة لم تضع سُنَنها لبلادها فقط بل لكل امم الارض المتفرّقة

والحقّ يقال انَّ الشرع الفرنسويّ قد استوطن معظم الدول فدخل في دساتيرها حينًا بالنقل الصريح وحينًا بالاقتباس والنفوذ. ويحسن بنا ان نذكر هنا انَّ اقسامًا كثيرة من الدستور العثماني وعلى الاخصّ قوانين التجارة وقوانين الدعاوي التجاريَّة وقوانين الدعاوي المدنيَّة وقوانين الدعاوي الجنائيَّة هي منقولة عن شرائعنا الفرنسويَّة. واكثر ما اقتفوا بهِ على آثارنا انَّما هو القانون المدنيّ. فانتشار دستورنا هو شرفٌ لم ينلهُ شعب غيرنا منذ انتشار الحقوق الرومانيَّة. فيحقّ بنا ان نفتخر بهذه الميزة التي أولت فرنسة التقدُّم الادبيّ والاجتماعي منذ القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر. أفلا ترى انَّ بروسية مثلًا لو امكنها نشر قانونها الذي ابرزتهُ سنة ١٧٩٤

في اواسط اوربة لكانت افتخرت بذلك ولا حرج . فلمَ لا تفتخر فرنسة بما نالهُ دستورها من الانتشار أفليس هذا دليلًا باهرًا على انّ الشرع الفرنسويّ باتساعهِ يصلح لعموم الشعوب فيتجاوز حدود بلادنا ويخرج من دائرة المصالح الوطنيّة الخاصّة فيُفيض مِنّتهُ السابغة على بقيّة البلاد. وخلاصة القول يجوز ان يُدعى الدستور الفرنسويّ دستور البشريّة مينها

ومن هذا يتّضح انّ فرنسة وطننا قد اصبحت مهذّبةً للشعوب فهي هي التي تنشر اصولًا عدليّة ارفع قدرًا واوسع كرماً ومبادئ حقوقيّة ادقّ ضبطاً واشدّ قوّة واغزر ثمرًا. وغاية ما تعهد به الى علماء حقوقها أن يسموا في ترقية الذمّة القانونيّة. وايمُ الله انّ هذه الدعوة لشريفة جدًا وخالصة من كلّ طمع شخصي لأن غايتها منزّهة عن كل المنافع المادّيّة اذ لا تقصد قصدًا آخر سوى رفع شأن الآداب بأن تجعل كل الصوالح المادّيّة تحت حكم الحقوق المنظّمة الثابتة

وان كانت فرنسة تقوم نوعاً بتحقيق هذه الدعوة السامية في كل البلاد فلها اسباب خصوصيّة تدفعها الى نشرها في جهات الشرق لأنّ الصداقة تدعو قبل كلّ الى خدمة الصديق . ولا يجهل احد من الحضور امرًا يسرّنا تكرارهُ والمجاهرة بهِ ألا وهو الوداد الخالص الذي يربط الدولة العليّة بفرنسة منذ زمن قديم. وقد سبقت فرنسة وسعت في نشر المعارف والعلوم على يد عدد عديد من اولادها الذين وقفوا حياتهم على تهذيب الشبيبة في انحاء الشرق من ضفاف نهر الطونة الى ضفاف النيل والفرات فبواسطتهم نال التمدّن الفرنسيّ السَّبق على سواهُ وتوفّر عدد محبّيهِ أفلا ينبغي أن نتمّم هذا العمل فنفتح للذين تعلّموا لغتنا الفرنسيّة وسائل جديدة ليستفيدوا منها ؟ أفلا يُقضى علينا بان نساعد أصحاب تمدّننا ونرشدهم الى السيرة الفضلى ؟ او نستطيع أن نترك مدارسنا الاوليّة والثانويّة دون ان نعزّزها بانشاء مكاتب للدروس العليا ؟

وقد تقدّمنا في هذا المشروع الجليل رجالٌ افاضل خدموا الوطن خدماً لا يُحصى قدرُها ألا وهم الآباء اليسوعيّون مديرو المكتب الطبي وكُنتُ اودّ ان أتّسع في ما اعرفهُ وما يعرفهُ الجميع من عظم فضل اصحاب هذا المكتب الجليل الذي سبقنا لولا اني لعالمٌ بأني قائمٌ بينكم خطيباً في دارٍ هي دارهم كانت في الامس مهد مكتبهم

الطبي وهي اليوم مهد مشروعنا الجديد فضلاً عن علمي بانّ مساعيهم ستتفق مع مساعينا واني اتكلم هنا باسمهم ايضاً ·

على اني استطيع ان اقول ولا تأخذني في ذلك لومة لائم بأن مكتبنا الحقوقيّ موطّن عزمهُ على السير في الطريق التي نهجها المكتب الطبي ليخدم الوطن كما خدمهُ

فمنذ الآن اذن تبتدئ مدرسة للحقوق حتى تجري مع المدرسة الطبيّة جري خيل الرهان وسيؤازرها مكتب آخر للمهندسين تتمّ به حلقة العلوم والفنون وقد باشروا في هذه المدّة الاخيرة بدروس اعداديّة لهذه الغاية · وعلى هذا المنوال لا تعود الناشئة الوطنيّة تحسد شبيبتنا الفرنسويّة اذ يتخرّج اهل الشرق في بلادهم ولخدمة وطنهم العزيز فيقومون باعباء المناصب التي تنفتح امامهم فيخرج من هذه المكاتب رجال افاضل منهم اطباء ومنهم ارباب عمل وتجار ومحامون قانونيّون ومدبّرون ومهندسون وصناعيون فيتبارون جميعاً في رفع شأن بلادهم وتوسيع نطاق ثروتهِ وقوّتهِ ورونقهِ ·

فنحن اذن ساعون بان ننشئ هنا مشروع حياةٍ وسلام بينما نرى الكثيرين في زماننا لا يسعون الّا في الخراب والدمار · واذا ما ازدادت بذلك اواخيّ الصداقة وعوامل الولاء التي تجمع بين فرنسة والدولة العثمانيّة عموماً وسوريّة خصوصاً وتوثّقت عرى حبّنا القديم لاهلها تحقّقت آمالنا وفُزنا بأقصى المرام

رحلة الى معادي الخبيري

للاديب نعمان افندي ابي ناضر

دفعني حبّ البحث والاستقصاء وخدمة قرّاء الشرق ان ازور المعادي الخبيري بغية ان اقف على آلة قيل لي انها تستخدم حرارة الشمس لاستخراج الماء من الارض وتدير الدوالب (الماكينات) فقصدتها وصديقاً حتى بلغناهـا وقد هجر النهار فوقعت عيناي على شبه قرية صغيرة ولا اسميها قريةً تمثيلاً لشأنها لما بها من الابنية الفخيمة والحدائق الغنّاء مرتفعة بين الكلاء الاخضر على ضفاف النيل وكلّها مبنية على الشكل الهندسي الانكليزي ممّا يدلك على ان اولائك القوم اينما حلّوا أحلّوا حضارتهم وصنائعهم وسعوا لاحداث مـا يعيد اليهم ذكر بلادهم من مثل ابنية

وطرق موثّرة وهنالك اشجار السرو والنارجيل تناطح السحاب باغصانها وتنشر الظلّ الظليل على قارعة الطريق العريض المرصوف بالمكَدام فاخذني العجب وصديقي ممّا رأينا لاننا كنا نظنّ اننا سنسير في ارض رملة قاحلة فهتفنا : اين هذه الارض وتربتها من بلادنا واين زراعتنا من زراعتهم ورقيّنا من رقيّهم . ولا اراني مطيلاً وصف ما وقعت عليه عيناي من مناظر بهيجة من ماء وخضراء ولكنني سأسهب في وصف تلك الآلة المصعدة للماء وصفاً يمكّن القراء من تصويرها في اذهانهم فاقول :

تتركب تلك الآلة من خمسة قلّابات بشكل نصف دائرة موجّهة الى السماء يبلغ طول كل واحدة خمسين متراً في عرض عشرة امتار اذا قسناها من جهة انفراج نصف الدائرة يحمل كلّاً منها ثمانية عشر لولباً متحركة من اسفلها محمولة على قضيب حديد طويل ثابت في الارض . وتلك القلّابات ملبّس داخلها بزجاج مرايا وفي وسط كل قلّابة عند نصف الدائرة اربعون ماسورة حديدية سميكة بعرض خمسين سنتيمتراً مثقوبة من اسفلها المستدير على شكل القسطل ثم تضيق من فوق وتصعد مسحوبة حتى تلتصق ببعضها وثقبها مستطيل وكلها متصلة بعضها ببعض يسترها غطاء زجاجي ليس من زجاج المرايا بل عادي وفي اعلى الماسورة الاخيرة وفي كل من الخمس القلابات صندوق حديدي بطول الماسورة الواحدة مثقوب من اسفله اربعة ثقوب . وكل هذه الصناديق متصل بعضها ببعض بقسطل حديدي متصل من وسطه بواسطة قسطل آخر بالآلة المصعدة للماء . فاذا بدت الغزالة رُدّمت تلك اللوالب بآلة تدار بالبنزين فتنقلب الى جهة الشمس وتنعكس اشعتها الواقعة على المرايا على تلك الماسورات الموجودة بالوسط المملوءة بالماء حتى نصفها كما تقدم فتُسخّن الماء ويمنع الزجاج حرارة الشمس من الخروج كما يستفاد من علم الطبيعيات فيتبخر الماء ويتصاعد البخار من تلك الماسورات الحديدية الى الصندوق بواسطة تلك الثقوب فيحمله القسطل الى الآلة المصعدة للماء فتدور اللوالب بقوة عظيمة وتُخرج نحو مائتين وسبعين الف لتر في الدقيقة ثم اذا انحرفت الشمس دلّت على انحرافها اصابع حديدية معلّقة في القلابة الوسطى فيأتون بآلة تدار بالكهرباء لتدير تلك القلابات الى جهة الشمس كيفما انحرفت وتجدّد الانعكاسات حتى لا تقع الّا على الماسورات لئلا تذهب فائدتها وتضيع حرارتها

وهذه احدى عجائب العلم الحديث جلَّ مُبدع الانسان الذي خلق له ذلك العقل النيّر فتغلّب بهِ على الحجار والماء والهواء وهو الآن يستخدم حرارة الشمس لتدوير آلاته كما نفعتهُ بحفظ حياته

على انَّ استخدام لشعَّة الشمس لتدوير الآلات ببخار المياه السخّنة بها ليس اختراعاً جديدًا وانّما قامت بالامر شركة خاصّة فجعلتهُ مشروعاً عمليًّا قليل النفقات كثير الفائدة اذ يولّد قوّة عظيمة دون فحم ولا وقود ولا كهرباء وذلك في صحار لاجداول فيها لاستخدام قوّة شلّالاتها . والاميركيون سبقوا الى ذلك فانشأوا في كليفورنية عدّة معامل لتوليد البخار بحرارة الشمس وجعلوا ينقلون القوّة الناجمة عنها الى مسافات بعيدة ويستخدمونها لحاجاتهم المختلفة وتدوير ادواتهم . وهذه القوّة تبلغ الوفاً من الحصن البخاريّة

أما الشركة التي عُنيت آخرًا في استخدام حرارة الشمس فهي شركة انكليزية رأس مالها ٣٠٠,٠٠٠ جنيه ومقسمة الى ٢٩٩,٩٢٥ سهماً عاديًّا قيمة السهم جنيه واحدة و١٥٠٠ سهم هي اسهم تأسيس (وهذه من حقوق المؤسسين فقط) ولها مدير ومهندسون ومستشارون وخبراء ووكلاء انكليز بمصر والسودان

وسبب تجارب هذه الآلة بمصر هو انهُ بالجلسة التي عقدها مجلس ادارة هذه الشركة في مدينة منشستر (٥ آذار سنة ١٩١٣) خطب رئيسها قائلاً «انهُ باثناء زيارته مصر في العام الماضي وجد ان سماءها توافق كثيرًا للاختراع وتوفّر سنويًّا مبلغاً عظيماً من المال الذى يُنفق في ثمن الفحم المصروف على الآلات الرافعة للمياه . وقال ان قوة الشمس ليست واحدةً في جميع الممالك فالقريب منها لخط الاستواء والواقع في المنطقة الحارّة يسهل على الشركة استعمال آلاتها فيها»

والذي فهمتهُ انا الآن ان هذه الشركة قد باشرت بالعمل منذ ست سنوات وتقدّمت تدريجاً واول آلة أُنشئت في صندوق سكاير ثمنهُ ٥ شلينات ثم تقدمت الى ان وصلت لقوّة ١/٨ حصان ثم الى قوّة ٣ أحصنة ثم الى قوّة مئة حصان في مصر وان الخزّان الذي كان مستعملاً للآلة اولاً كان مصنوعاً من الزنك تكن حرارة الشمس وشدّتها بمصر اذابتهُ وتعطلت الآلة مدة الى ان اتُّخذت التدابير وعُمل الخزان من حديد حيث يتحمّل قوة الشمس للدرجة ٢٠٠ وفهمتُ من مدير هذه الشركة هنا

ان المصاريف التي تُنفق على هذه الآلة اقلّ بكثيرٍ من الآلة البخارية التي تتحرك بوقود الفحم وقد وجدوا ان الاقتصاد هو ١٠ شلينات في الطن.

ومما قاله لي ايضاً ان هذه الآلة لم تكن منحصرة بريّ الاراضي فقط بل تُستعمل لأغراض أخرى كاستعمال البخار وانهُ بعد مضيّ مدة ستوجّه الشركة عنايتها الخصوصيَّة للري فقط وان هذه الآلة استُعملت في الهند وسيلان وبعض ممالك استراليا فأتت بالفائدة المطلوبة ويجوز استعمالها في ايام المطر بواسطة خزانات تُخزن فيها الحرارة وكذلك في ايام الزوابع والعواصف التي تحجب عنها اشعة الشمس فانّ الحرارة التي تُرصد في الخزان تكفي لتحريك الآلة ثلاثة ايام ثم بعد ذلك تحركها بنصف القوة الاولى

وجعلت الشركة موعد امتحاناتها الاولى في ١١ تموز وكان الاحتفال في معادي الخبيري وهو بلد يبعد عن مصر مسافة ثُلث ساعة بسكة الحديد على الخط الممتدّ من مصر الى حلوان. وقد اختارت الشركة ذاك المكان لوضع الآلة فيه لان وكلاءها ساكنون هناك ويوجد ارض فضاء تخص الحكومة واقعة على ضفة النيل نصبت فيها الشركة الآلة التي لم تستعملها حتى الآن سوى للتجارب فقط واذ ليس هناك اراضٍ قريبة من محل هذه الآلة لاجل ريّها فالآلة تُخرج المياه من البحر بقساطل ثم تعيدها اليه بقساطل اخرى حيث لا يوجد محلّ لصب المياه فيه كما تقدَّم. والشركة لم تنل حتى الآن امتيازاً خصوصياً من الحكومة المصريَّة وقد ثبت انها لم تطلب ذلك. والرأي العام يرجّح نجاحها وينتظر من عملها نفعاً كبيراً لمصر

الف ليلة وليلتان

للاب شرل ايلا اليسوعي

قد اغفل جامع كتاب الف ليلة وليلة عن فصل بديع. فاكتشفهُ صاحب «المنار» واثبتهُ في العدد الاول من سنتهِ هذه وتوسّع فيهِ من بعده في العدد التالي الدكتور توفيق صدقي. فجاء روايةً خيالية تدلُّ على سعة المخيّلة في كلا الكاتبين

ومقدرتهما على تلفيق الروايات الخيالية . وهاك ملخص الحكاية : الثابت لدينا نحن معشر النصارى ولدى كل من له ولو بعض الإلمام في التاريخ انّ الذي صلبهُ اليهود هو سيدنا يسوع المسيح . لكنّ هذه طريق مطروقة يتنزه « المنار » ذاتهُ عن ان يسلكها . فعنده ان الذي صُلب انما هو يهوذا الاسخريوطيّ الذي خان ربّهُ وباعهُ بثلاثين قطعة فضّة

وان سألتَ على ما بُنيّ هذا الرأي . اجابك الراوي الثاني الدكتور صدقي : «على قول رينان وادورد كارد » . وزادك ايضاحاً الراوي الاول السيّد محمد رشيد رضا قائلاً : « ويُروى عن بعض الدقّقين من علماء اوربّا الاحرار وكذا الذين يُسمّون المسيحيين (؟) العقليين . . . »

ولا تدفعنَّك القحة الى القول : حبَّذا المدققون وحبذا الاحرار . قوم ما كفروا ولا مرقوا من الدين الصحيح الّا لأن اهواءهم واحكامهم السابقة غلبت عليهم فامتهنتهم واسترقّتهم الى حدّ ان جعلت على بصائرهم غشاوة فأمسوا لا يرون الحوادث وان ثابتةً راسخةً في التاريخ الصحيح كلّما خالفت اراءهم يتشدقون بحرّيّة الفكر وانما هم عبيد ضلالتهم الضالّة . فكيف يركن صاحب المنار الى هؤلاء وقد عاشوا نحو الفي سنةٍ بعد المسيح ولا يعيرُ سمعاً اولئك « الذين كانوا مُعاينين منذ البدء وخادمين الكلمة »(لوقا ١ : ٢) او اخذوا عنهم . أفاتهُ أنّ ثلاثةً من الانجيليين سفكوا دمهم شهادةً على ما خطّوه بأسفارهم والرابع يوحنا تلميذهُ بوليكربوس اسقف ازمير واغناطيوس اسقف انطاكية وغيرهما كثيرين الذين ماتوا ضحيةُ شهادتهم على كل ما حوتهُ البشارة الانجيليّة

فان قلت هذا اجابك كاتبا المنار : « سندُنا قول شاهدٍ من الاولين . وهو برنابا الرسول الذي نقلنا روايتنا ممّا اثبتهُ في انجيله »

نعماً . نعماً . اتدري ما هو انجيل برنابا ؟ راجع اصحاب النقد المدققين ترَ انهُ احد الاناجيل التي زوّرها الهراطقة وحرمها البابا جيلاسيوس في جملة التآليف المصنوعة سنة ٤٩٦ م . وترَ ايضاً انّ هذا الانجيل مفقود لم يبقَ له أثر ولا يُعرف منهُ شيءٌ . واما الكتاب الموسوم باسم انجيل برنابا الذي سعت في ترجمته مجلة المنار فهو من الكتب المصنوعة الحديثة التي لا علاقة لها مع انجيل برنابا المذكور . وتاريخ نسخته

الاصليّة باللغة الايطاليّة سنة ١٥٧٥ ألّفهُ على ما يظهر راهب ايطالي محروم يُدعى ماريني وقد عرَّبت مجلة المنار هذا الكتاب عن طبعة اوكسفرد الايطاليّة الانكليزيّة (١ ونقلت في مقدّمة طبعتها العربية كلام ناشرَي طبعة اوكسفرد وهاك نصَّهُ (٢: «يمكننا الجزم بان كتاب برنابا الايطالي انما هو كتاب انشاني.. هو تعليم رُجل، له إلمام عجيب بالتوراة اللاتينيّة يقرب من إلمام دَنْت وانهُ نظير دَنْت متضلع على نوع خاص من الزبور وهو صنعُ رجل معرفتهُ للاسفار المسيحيّة تفوق كثيرًا اطلاعه على الكتب الدينيّة الاسلاميّة فيُرجح اذًا انهُ مرتدٌّ عن النصرانيّة ». افليس من غرائب القحة ان يعود المنار بعد هذا ويعتمد على انجيل برنابا كأنهُ مصدر اوّليّ: وكان حضرة مدير المشرق (١١: ٢٠٤) أنذر المنار ونصحهُ ان يتصفّح ما جاء في مقدّمة ترجمة اوكسفرد. ولكن فاتَ الاب الفاضل وتتنزّ انّ شعار المنار ان يُنذِر ولا يُنذَر. ويعظ ولا يتّعظ. ولذلك قال في عدده الاول لهذه السنة (ص ٩) انهُ اذا كان يرغب الى «كل مَن يطّلع عليه ويرى فيه خطأً ان يبيّنهُ له بالمشافهة.. او بالكتابة فانه مع ذلك لا يرضى ان يكون منتقدوه ممّن «اذا رأوا او سمعوا — ولو كذبًا (!) — انّ اخاهم اخطأ في شيء اشاعوا ذلك بين الناس في القول والكتابة فيدري (وهنا الطامّة الكبرى) بذلك الخطإ من ياقونهُ دونهُ ». ولا عجب فذو النفي يهرب من النور لئلا ينفضحَ كما فُضح غيره باتهامه اياه ظلمًا وعدوانًا

علمنا اذن ان حكاية صلب يهوذا هي الثانية بعد الالف لروايات الف ليلة وليلة لفّقها صاحب المنار وصاحبه الدكتور صدقي. ولكن كان حقّ قرّائهما ان يسألوهما ولو توزًا قليلًا من الفنّ في التلفيق. فان اقلّ ما على المزوّر ان يختلق ما هو قريب للعقل. يقرّ الدكتور صدقي ان اليهود كانوا حاقدين على يسوع يكرهونهُ شديدًا. وان بغيتهم كانت صلبهُ وقتلهُ هو دون غيره. ومع ذلك يزعم جنابهُ انهم ضلّوا عنهُ جميعًا. وصلبوا عوضهُ يهوذا ظنًّا منهم انهُ يسوع لانهُ على ما تحقّقهُ الدكتور صدقي

(١ The Gospel of Barnabas edited and translated from the italian Ms. in the imperial library at Vienna by Lonsdale and Laura Ragg. *Oxford, at the Clarendon Press*, 1907.

(٢ انجيل برنابا — طبعة المنار — ص ١٠

في كتب الاقدمين (!) وخصوصاً في خرافات الملحدين المعاصرين كان شبهٌ تامٌ بين يسوع البارّ ويهوذا الخائن (كذا). بالله عليك يا جناب الدكتور ان كنت حصلت على الصورتين بالآلة الفوتغرافية فمنّ علينا بهما ليكون لك اجرٌ عظيم عند الله والناس. وكذلك في رأي الراوي المدقق انّ النساء اللواتي حكى عنهنّ الانجيل بعد ان خدمنَ يسوع ثلاثة اعوام ايامَ بشارته تبعن يهوذا حاملاً الصليب الى جبل الجلجلة وغرّهنّ الشبه التام بينهُ وبين يسوع فخلن انهُ الرب يُقاد الى الصلب. اما مريم امهُ فمن المحال ألّا تميّز والدها من غيره ولذلك ارتأى الدكتور صدقي حَذف ذكرها من انجيل يوحنا واقفةً تحت الصليب. فان جنابهُ يختار من الاناجيل الاربعة ما يحلو لهُ ويطيب ويحذف ما يناقض رأيه. وبديهيٌ انّ الرسل الاحد عشر لم يسلموا من الغشّ فانهم هم ايضاً ايقنوا ان المصلوب هوَ يسوع فاختلسوا جثة يهوذا رغماً عن الحرّاس الذين اقامتهم السلطة الرومانية على قبره واذاعوا الخبر ان يسوع قام من الاموات

والى مَ آل امر يسوع؟ رُويداً رُويداً يا صاح. فيأتيك الدكتور بما جرى للمسيح في مخيلتهِ الوقّادة. اسمع كلامهُ (ص ١١٤) لا فُضَّ فوه: «ولما كان الصباح ساقوه (اي يسوع) الى بيلاطوس الذي كان يودّ انقاذه منهم ولكن الظاهر من الاناجيل انهُ لم يتلفّظ بحكم بصلبه فاخذه العسكر الى السجن حتى يستعدّوا للصلب ففرّ من السجن هارباً امّا بمعجزة او بغير معجزة». نعم إنّ رنان زعيم الدكتور لا يؤمن بالمعجزات وهو السبب الوحيد لرفضه الانجيل. ولكن الرجاء من القارئ اللبيب ألّا يؤاخذه كونهُ نسي انهُ ينتمي الى رنان ولا تسلهُ كيف ركّب هرب يسوع الذي طالما اظهر للرسل وغيرهم رغبته ان يُسلَم الى اليهود ليكفّر عن خطايا البشر ويثبّتهم ما اتّقد بهِ فؤادهُ من الحب لهم. كيف يهرب من قال الانجيل عنهُ انهُ في البستان قام غير راهب يلاقي اعداءه. فهذا وما هوَ نحوهُ لا يعرقل جنابهُ. لهُ عليهِ جوابٌ قاطع شافٍ وهو تكريرهُ لقولهِ: وهذا ايضاً من خرافات الانجيل

لنعد الآن الى خرافات الدكتور. قال الراوي (ص ١١٤): «وربما ذهب (يسوع) الى جبل الزيتون ليختفي وهناك توفّاه الله او رفعه اليهِ بجسمهِ او بروحهِ فقط». بالله عليك ايها القارئ ألّا تنظر الى رُفات رنان ترتعش في ضريحهِ وتزبد غضباً على تلميذ لهُ يعتقد بارتفاع جسمٍ الى السماء او اقلّهُ بخلود النفس

حسبنا الآن فكاهةً واما ما جاء في المنار مما به ينقض ذاته لذاته فحدّث عنه ولا حرج. فتارةً (عدد ١ : ١٠) يروي عن المدققين ان الذي صُلِب لم يمت بل اغمي عليه. وتارةً (عدد ٢ : ١١٦) يجزم بانّ اثنين من التلاميذ اختلسا من القبر جثة المصلوب. الى غير ذلك من ناقض ومنقوض مما يُضحك الثكلى لولا ما وراءه من النيّة الثابتة لتذليل النصرانيّة وان ظلماً وعدواناً

البرهان الصريح

في اثبات أُلوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

الوهيَّة المسيح في قيامته

مات المسيح لكنَّ موته كان بدءَ مجدهِ فانهُ لم يتزل بعد عن صليبه واذا الطبيعة كلها تشهد لعزّهِ ولاهوتهِ. فانكساف الشمس وانتشار الظلمات على الارض وخروج اجساد القديسين من قبورهم وقرع الجرع لصدورهم بالإنابة فكلّ ذلك يردّد بلسان حالهِ قول قائد المئة: «حقًّا كان هذا ابن الله»

وما كاد يلفظ نَفَسهُ الاخير حتى صار جسد المصلوب موضوع الاكرام والوقار لكنَّهُ لم يسمح بأن يمسَّهُ صديق الى أن يطعنهُ احد الجنود بحربتهِ ليتحقَّق كل الناس صحَّة موتهِ ويدلَّ البشر على انَّ ذاك الجنب المفتوح يتضمَّن قلباً مفعماً بالحبّ لجميع الامم تفيض منهُ على بني آدم نعم الخلاص التي رمز اليها بالدم والماء السائلَين من جنبهِ

وها هوذا قد باشر باثبات نبوّتهِ حيث قال (يو ١٢ : ٣٢): «واما اذا ارتفعتُ من الارض جذبتُ اليَّ الجميع». واوّل من جذبهم اولئك الذين سعوا في تحنيط جسدهِ ودفنهِ وفي مقدَّمتهم رجلان من اعيان اليهود نيقوديموس احد اعضاء مجمع اليهود

ويوسف الرامي وكلاهما كان من تلاميذهِ لكنهما كانا متستِّرَين خوفاً من اليهود ففي تلك الساعة والخوف احرى بان يشلهما تراهما نبذا كل رعب فدخل يوسف على بيلاطوس بكل جرأة ونال منهُ جسد المصلوب ثمَّ انزلا الجسد من الصليب وحنَّطاهُ ولفَّاهُ بالكتان ووضعاهُ في قبر جديد منحوت في صخرة كان يوسف اعدَّهُ لنفسهِ في وسط بستانٍ هناك ودحرجا حجراً ضخماً على باب القبر

بهذا القبر وبهذا الحجر ينتهي كلّ جاه العالم وعظمة الملوك والسلاطين. وربَّما اختلف القبر في حسنهِ ورونقهِ ووفرة نقوشهِ فيزيد بذلك الاعلان ببطلان مفاخر الدنيا وبذلة من مات فنفات ولم يترك من بعدهِ سوى الذكر الفارغ. وتُكتَب في الغالب على صفاح القبر كتابة مزخرفة توقف ابن السابلة على ذاك الذي كان كذا وكذا في زمانهِ ولم يبق منهُ الَّا رمَّة نخرة فيسير في طريقهِ مردِّدًا

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ

صدق لبيد بقولهِ «ما خلا الله» وها هوذا الله سيبعث من هذا القبر حياةً جديدة تفوق على الحياة التي سمح لاعدائهِ ان ينزعوها منهُ لساعات. وسوف يُضحي هذا القبر الذي هو لجميع البشر منتهى عزّهم وسلطانهم مبدأَ عزّ المسيح ومفتتح سلطانهِ فتتمّ فيهِ نبوَّةُ اشعيا القائل عن ابن داود منتظر الامم (١١: ١٠): «ويكون قبرهُ مجيدًا»

والحقّ يقال انَّ لاهوت المسيح الذي تبيَّنا عيانهُ في كل اطوار حياتهِ لم يظهر في واحدٍ منها ظهورهُ في قيامتهِ لأنَّا في تلك الاطوار كنَّا نشاهد اعمال اللاهوت ممتزجةً باعمال الناسوت القوَّة مع الضعف المذلة مع الذلّ امَّا في قيامتهِ فظهر الاله بجبروتهِ وجلالهِ وكل صفاتهِ العلويَّة

ولعلَّ الخصم يوقفني هنا ويقول: دع عنك هذه الفلاسف فكيف تقنعنا بهذه القيامة المزعومة؟ اين شهودك على هذا الامر الغريب؟ هيهات ان نرضى بمجرَّد الادّعاء ما لم تثبت الامر ببيّنات اضوأ من النهار

على رسلك يا صاح. دونك الشهود وكأنهم في مصفّ الشهود الممتازين الذين لا سبيل الى ردّ شهادتهم كما سترى

واول شاهد على ذلك السيد المسيح نفسهُ فانهُ مدة حياتهِ اعلن غير مرة بانهُ سيجعل قيامتهُ كالدليل العظيم على لاهوتهِ وذلك لما اتاهُ الكتبة والفريسيون فسألوهُ ان يُريهم آيةً فكان جواب الربّ (متى ١٢: ٣٨): «انَّ الجيل الفاسق يطلب آيةً فلا يعطى آيةً الّا آية يونان النبيّ لانهُ مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلثة ايام وثلث ليال». وقد كرَّر قولهُ مرةً ثانيةً (متى ١٦: ٤ ولوقا ١١: ٢٩). ثمَّ صرَّح بالامر في موطن آخر لما طرد الباعة من الهيكل فقال لهُ اليهود (يو ٢: ١٨—٢٠): «أية آيةٍ ترينا حتى تفعل هذا فاجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وانا في ثلاثة ايام اقيمهُ.. وكان يعني هيكل جسده». وكان كلامهُ لتلاميذهِ في ذلك أوضح لا مجازَ فيه ولا استعارة قال الانجيلي متى (١٦: ٢٦): «وبدأ يسوع يبيّن لتلاميذهِ انهُ ينبغي لهُ ان يمضي الى اورشليم ويتألّم كثيرًا.. ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث» ولمّا تجلّى على جبل الطور امام ثلثة من تلاميذه اوصاهم بكتم الامر قائلًا (متّى ١٧: ٩): «لا تُعلموا احدًا بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الاموات» وقبل آلامه عيَّن لتلاميذهِ الجليل كموعد اجتماعهِ بهم بعد قيامتهِ فقال لهم (متّى ٢٦: ٣٢): «متى قمتُ اسبقكم الى الجليل». فترى ان يسوع جعل قيامتهُ من بين الاموات كالشاهد العظيم على كونهِ الهًا وبازاء هذه الآية يعدُّ بقيَّة معجزاتهِ كلا شيء. وهذه القيامة من الموت لا تتمُّ على يد آخر كما فعل ايليا واليشاع بابن ارملة صرفة وبابن الشونمية وكما فعل هو بلعازر وبابن ارملة نائين وبابنة رئيس المجمع كلّا بل صرَّح بانهُ هو هو الذي يُقيم هيكل جسدهِ بعد نقضهِ ويعيد نفسهُ الى جسدهِ باختيارهِ كما قال (يو ١٠: ١٧—٢٦): «اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضًا ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري فلي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها» فللّهِ درّهُ من كلام لا يدع للريب مجالًا فان تمَّ قضي على الجميع الاعتراف بلاهوتهِ وان لم يتمَّ عرفناهُ انهُ مشعوذ ومسيح دجّال فلا وسيط بين الطرفين واذْ لم يقل بهذا الاخير رجل عاقل بل اعداء المسيح نفسهم — الّا اليهود وقد بيّنّا سبب بغضهم — فلا يبقى الّا القول بانَّ المسيح حقًّا قام واتمَّ بقيامتهِ نبوّات الانبياء كما قال ذلك لتلميذي عمواص (لو ٢٤: ٢٦): «أما كان ينبغي للمسيح ان يتألّم هذه الآلام ثمَّ يدخل الى مجدهِ»

ولنا شاهد ثانٍ لا يستطاع ردّ شهادته اذ هي شهادة عدوّ مرغوم نريد به مجمع اليهود ورؤساء الكهنة فانهم بعد موت المسيح ودفنه قد تذكّروا وعده بقيامته فارادوا ان يحذروا القبر في وجه تلاميذه فاتوا الى بيلاطوس قائلين (متى ٢٧: ٦٣—٦٦): «أيها السيد قد تذكّرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حي اني بعد ثلثة ايام اقوم فمُر ان يُضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشعب انهُ قام من الاموات فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى. فقال لهم بيلاطوس: انَّ عندكم حرَّاساً فاذهبوا واضبطوا كما تعلمون فمضوا وضبطوا القبر بختم الحجر واقامة الحرَّاس». نعمَّ ما فعلتم أيها اليهود فانكم بفعلكم هذا لم تبقوا لاحد وجهاً للشكّ بقيامة الرب. فلا يقولنَّ الحرَّاس باغرائكم بعد ذلك (متى ٢٧: ١٢): «ان تلاميذهُ اتوا ليلًا وسرقوهُ ونحن نيام» فان كنتم نياماً كيف امكنكم بأن تؤكدوا أنَّ تلاميذهُ سرقوهُ أتقبل شهادة النائم؟ ثمَّ ان كنتم نياماً كيف استطاع عدد من التلاميذ أنْ يأتوا ويفضُّوا ختم الدولة الرومانيَّة ويدحرجوا حجرًا كبيرًا ويخرجوا الجسم ولم يحسّ بكل ذلك احد من الحرَّاس؟ وان كنتم نياماً كيف لم يجازِكم اليهود والوالي بيلاطوس بعقاب اليم على اهمالكم لواجباتكم وهي الليلة الاولى لحراستكم بل يرشونكم على خلاف ذلك بالدراهم على شرط ان تخفوا الحقيقة؟ وان كان التلاميذ سرقوا الجثة كما تزعمون فكيف تسكتون عنهم ولا تحاكمونهم؟ وما اسهل الزام قوم جبناء بالاقرار بالحقّ فاذ لم تفعلوا بيَّنتم على رؤوس الملأ ان المسيح حقًّا قام

ودونك شهودًا صادقين ألا وهم الحواريون ورُسل الرب الذين كانوا بعد توقيف المسيح في بستان الزيتون تفرّقوا كالنعاج الضالَّة وتصدَّع شملهم وأيسوا عند استماعهم بخبر آلام وموت سيّدهم من خلاص اسرائيل وهم جليليُّون ضعفاء الحال يتبرعهم اليهود كسُقَّاط ملتهم يرون نفوسهم في اورشليم كقوم غرباء لا سَنَد لهم ولا نصير. نعم انهم كانوا سمعوا سيّدهم يعدهم بقيامته لكنَّهم لم يدركوا معنى قوله. وكانوا مع ذلك معروفين بسذاجتهم وصفاء نيَّتهم يشهد الكل على حسن سيرتهم فلم يخطر على بال احد انهم أضمروا الخداع والغشّ او انهم تجرأوا على بختم الدولة الرومانيَّة ليفتحوا قبرًا مختومًا بخاتم الوالي وبحرسهُ الحرَّاس. فهؤلاء هم الذين قاموا بعد أيام قلة وأعلنوا على رؤوس الاشهاد بان سيدهم الصاوب قد قام ولم يخافوا في شهادتهم

لومة لائم وهم في نفس اورشليم امام جماهير الشعب حيث كان القبر قريباً من كل من يريد تحقيق قولهم . واذ تهدَّدهم رؤساء الشعب والكهنة بالعقاب والقوهم في السجون وضربوهم وجرَّحوهم ليلزموا السكوت لم يفعل فيهم الوعد والوعيد واكتفوا بان قالوا لمضطهديهم بكل شهامة (اعمال ٤ : ١٩) : « احكموا انتم . ما العدل امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانّا لا نقدر أن لا نتكلَّم بما عاينَّا وما سمعنا » و « أن الله احقّ من الناس ان يُطاع » (اع ٥ : ٢٩) فكانوا اذا مثّلوا بهم يخرجون « فرحين بأنهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع » . وشهادتهم هذه يؤيدونها بالمعجزات الباهرة ويصرّحون بأنهم يأتون بتلك الآيات باسم يسوع الناصري « الذي اسلمهُ اليهود الى الموت وهو مبدئ الحياة فاقامهُ الله من بين الاموات » (اع ٣ : ١٣ — ١٥)

وان قيل انَّ رسل المسيح انخدعوا فأُصيبوا بنوع من الخَبَل لحبّهم المفرطة لسيّدهم او لتصديقهم شهادة نسوة غلبت عليهنَّ المخيّلة فروين لتلاميذ الربّ رؤى لا صحّة لها قامت في وجهك بيّنات لا سبيل الى نقضها لأنَّ رؤى المسيح بعد قيامته لم تنحصر في امكنة قليلة وافراد قليلين وهيئات متشبّه بها لكنها تعدَّدت بحيث لم تدع ريباً لمستريب . وذلك :

اوَّلاً من حيث عدد الرؤى . فانَّ ما ذكرها الانجيليُّون وبولس الرسول في رسائله يبلغ عددها الى قرب العشرين ولم يحصوها كلها كما أكّد لوقا (اع ١ : ٣)

ثانياً من حيث الأمكنة . تراءى الرب لذويه بعد قيامته عند القبر على طريق جبل الجلجلة على طريق عمواص في علّية صهيون والابواب مقفلة عند بحر طبريّة على جبل في الجليل على طور الزيتون

ثالثاً من حيث الازمنة . تراءى « لهم مدَّة اربعين يوماً » (اعمال ١ : ٣) في ازمنة مختلفة صباحاً ومساء نهارًا وليلًا في أيام متفرّقة ومتتابعة

رابعاً من حيث الاشخاص . تراءى للافراد كمريم المجدليّة وبطرس (لو ٢٤ : ٣٤) ويعقوب (١ كور ١٥ : ٧) وبولس (١٥ : ٨) . تراءى لبعض الفئات كالنسوة الصالحات (متى ٢٨ : ٩) وتلميذي عمواص (لو ٢٤ : ١٣ — ٣٣) والاحد عشر دون توما (يو ٢٠ : ١٩ — ٢٣) والاحد عشر مع توما بعد جحوده (٢٠ : ٢٣ — ٢٩) وبعض التلاميذ

التصيدين (يو ٢١ : ١-١٣) واكثر من خمسمائة معاً (١ كور ١٥ : ٥) خامساً من حيث الهيئات . تراءى لمريم المجدلية في هيئة حسبتها على الظن بانه بستاني . ولتلميذي عمواس في هيئة مسافر . وتلاميذه في هيئته المعهودة لكنها الممجدة حافظاً في جوارحه آثار المسامير وفي جنبه اثر الطعنة . وكان في ظهوره لهم يكلمهم ويكلمونه ويلمسونه كما فعل توما ويبكتهم على عدم ايمانهم بقيامته ويأكل معهم ويذكرهم باقواله ويوصيهم بوصاياه « ويعلمهم ما يختص بملكوت الله » (اع ١ : ٣) اي بتدبير كنيسته وتوزيع اسراره والدعوة الى دينه

فيا لله اي حادث تاريخي تأيد بادلة ساطعة كهذه فان انكره الجاحد اقتضى عليه انكار كل الحوادث التاريخية والشك في كل ما يرويه اصدق الثقات

وانا مع هؤلاء الشهود الاعيان شهود آخرون يعمون كل الازمنة والامكنة نريد بهم الملايين من الذين تبعوا شريعة المسيح ودانوا بدينه وكلهم كانوا نبذوا هذا الدين ظهرياً لو لم يتحققوا صحة قيامة المسيح كما قال بولس (١ كور ١٥ : ١٤) : « ان كان المسيح لم يقم فكرازتنا اذن باطلة وايمانكم باطل » . وبين هؤلاء الشهود امم برمتها قد فاقت في كل الازمنة على سواها بترقيها وتمدنها . بينهم جماهير العلماء الذين شرفوا جنس الانسان والنوابغ المشار اليهم بالبنان . بينهم الالوف المؤلفة من الزهاد من فاعلي الخير من مهذبي الامم من المتفانين في خدمة كل العاهات البشرية . منهم الشهداء من كل جنس وكل سن وكل بلاد الذين صبغوا بدمائهم الكريمة كل الاصقاع على توالي الدهور فازدروا بالعذابات وكل تنكيل وموت ليقرروا حقيقة قيامة المسيح . وما اثبتوه بدمهم كلنا مستعدون ان نختمه بدمنا وليس عملنا عن هوس او جهل اذ ليس دين يثبت صدق تعاليمه كديننا . فما احلى الموت في سبيل الحق ! وان كان سفك الانسان دمه حباً لوطنه من اجل الامور واشرفها فما قولك باهراقه في حب الرب الذي سبق واحبنا الى أن مات لاجلنا لينقذنا من شرور الآخرة والهلاك الابدي

فليت شعري ان كانت كل هذه الشواهد لا تقنع الجاحدين أحلناهم الى شواهد أخرى قامت في هذه الاجيال الاخيرة من بطن الارض تصرخ بلسان حالها : « قام المسيح وقيامته لاشك فيها » . نريد بذلك العاديات النصرانية التي اكتشفها

الاثريون في كل انحاء العالم القديم ولا سيما في دياميس رومية فجاءت مصدّقة لقول المسيح للفريسيين لما ارادوا حسداً ان يُسكتوا الشعب الصارخ في الهيكل : هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب : فاجابهم يسوع (لو ١٩ : ٤٠) :« ان سكت هؤلاء صرخت الحجارة » وهذا قد تمّ بالحرف بوجود تلك العاديات الراقية الى اجيال النصرانيّة الاولى وهي تمثل رسوم قيامة المسيح بتصاوير زاهية ورموز لطيفة فمنها ما يمثل قبر المسيح مع شعاره وبقربه الحرّاس النيام ومنها ما يُرى فيه المسيح عند القبر فاتحاً جنبهُ ليريَهُ الى توما . ومنها ما يدلّ على نبوءات القيامة كصورة يونان الخارج من بطن الحوت ودانيال الناجي من مخالب الاسود واشياء كثيرة غيرها . وقد افردنا لذلك مقالة مطوّلة في السنة ١٩٠٦ (المشرق ٩ : ٣٣٧—٣٤٦) كفى بها دليلاً على معتقد النصارى الاولين بقيامة المسيح وشاهداً مقنعاً لكلّ من لا يحجب نظرهُ عن الحقّ المبين

فان كانت كل هذه الشواهد صادقة – ولا سبيل الى نفي صدقها ونكران صحتها—فلا يبقى الّا ان يقرّ الجاحد بلاهوت المسيح لأن الامرين متلازمان ما لم يُقل انّ الله ألقى البشر في غواية لا مناص لهم منها اذ أيّد الكذب والخداع بالمعجزات الباهرة وحاشا الله ان يفعل ذلك

أما الاعتراضات التي التجأ اليها الملحدون في عصرنا كستروس (Strauss) الالمانيّ وريتان وتلميذهما المصري الدكتور توفيق صدقي في مجلة المنار فكلّها تذوب وتتلاشى بازاء هذه البراهين اللامعة كالشمع بازاء النار والهباء بازاء الريح والظلمة بازاء الشمس لأنها كلّها مبنيّة على شُبهات لا طائل تحتها وسفسطات يحلّها كل ذي عقل مستقيم لا يكابر الحقّ المنير

وكان يمكننا ان نضيف الى ما سبق بيّنات اخرى تشهد لاعتقادنا الوهيّة المسيح منها صعودهُ الى السماء في اليوم الاربعين من بعد قيامته كما رواه الانجيليّون ونقله القرآن عينهُ حيث قال (سورة آل عمران ع ٤٨) :« اذ قال الله ياعيسى اني متوفّيك ورافعك اليّ ومطهّرك من الذين كفروا »

وكذلك رجوعهُ في يوم الاخير لدينونة العالم كما انبأ بهِ اليهود أمام قيافا حيث قال (متى ٢٦ : ٦٤) :« اقول لكم انكم ترون ابن البشر جالساً من عن يمين

القدرة وآتياً على سحاب السماء »وكقوله (يو ٥ : ٢٢) : « انَّ الآب لا يدين احداً بل اعطى الحكم كلَّهُ للابن ». وهذه الدينونة التي خُصَّ بها السيد المسيح يقرُّ بها علماء الاسلام ايضاً وهي من مميِّزات لاهوتهِ

وماذا نقول عن اعمال الكنيسة التي انشأها وكلُّها تثبت الوهيَّة المسيح فلولا المسيح فيها ومعها الى منتهى الدهور لكانت قويتْ عليها ابواب الجحيم كما قويت على كل الأديان السابقة وهي اليوم اسماء بلا اجسام. لكن هذا البحث واسع المجال نوجِّه ان شاء الله الى فرصة أخرى

ولنختمْ اليوم مقالاتنا عن الوهيَّة المسيح بقولنا مع احد جهابذة النصرانيَّة: لولا الوهيَّة المسيح وتنازُلهُ بأخذ طبيعتنا لبقي العالم مرتبكاً في ظلامهِ وبقيت ضلالات الوثنيين الفظيعة مطبقة على عقول البشر حتى في الامم الارقى تمدُّناً والاوسع عمراناً كاليونان والرومان والبابليين والمصريين فان فواحش اديانهم الباطلة كانت تزداد مع ترقيهم في الحضارة واذ رأى البشر انَّهم لا يستطيعون ان يترقَّوا الى كمالاتهِ تعالى جعلوا لهم آلهةً تضاهيهم في اهوائهم ليعبدوا افكارهم واهواءهم ولذّاتهم بهيئة الآلهة الكاذبة

وامَّا تأنُّس ابن الله الكلمة ليبيّن لنا بسرّ تجسُّدهِ كيف يمكن للالوهيَّة ان تلبس ضعفنا وتتَّحد بطبعنا دون ان تنحطّ او تفقد شيئاً من خواصها واذ كان الكلمة في طبعهِ الالهيّ غير قابل التغيُّر في ذاتهِ اتَّحد بطبعٍ آخر اناط بهِ ضعفنا ليشفيهُ

فكأنَّ الله يقول لخلوقهِ: يا أيها الانسان قد رغبتَ في أنَّ الآلهة تكون مثلك بشراً فأنت بذلك على ضلال مبين فها انا اعرض عليك عبادةً جديدة عبادة إلهٍ وانسان معاً لا يمرُّ جلالهُ تغيير من حيث هو إله ويقبل من حيث هو انسان كل اوجاعك وعذاباتك ومحنك دون الخطيئة ليعلِّمك في شخصهِ الكريم كيف تقدسها وتنال بها الجزاء السرمديّ حتى اذا تشبَّهت بالاله لا تعود تأتي اثماً قطعياً بل تجترح عملاً صالحاً لأنَّ الاله صار انساناً حتى يصير الانسان إلهاً بالاقتداء. كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) « انَّ الذين سبق الله فعرفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكراً بين اخوة كثيرين » فيمجّدهم كما مجّد ابنهُ الذي لهُ العزّ والكرامة والقدرة الى دهر الدهور آمين (تتَّبع)

مطبوعات شرقية جديدة

L'Edit de Calliste. Etude sur les origines de la Pénitence Chrétienne, par **Adh. d'Alès**, *Paris, Beauchesne*, 1914, VI-484

بحث لاهوتي اثري في اصول التوبة القانونيّة في الكنيسة

لمّا شقّ العلّم ترتليان الشهير عصا الطاعة للكنيسة في اوائل القرن الثالث وانحاز الى بدعة المتانيّين جعل يندّد بالكنيسة الرومانيّة لتساهلها مع بعض الخطأة الذين ارتكبوا الكبائر بعد المعموديّة وتابوا عنها فكان يزعم انَّ رؤساء البيعة لا يجوز لهم ان يحلّوا هؤلاء الجناة من آثامهم اللهمَّ الّا في ساعة الموت. ولمّا وقفوا على ما كتبهُ في ذلك البابا كلستوس نحو سنة ٢٢٠ مثبتاً حقوق الكنيسة في مغفرة كل الخطايا لمن يتوب التوبة النصوح ثم ثار ترتليان وراش سهام حنقهِ ليرشق بها الحبر الاعظم مدّعياً بانّهُ اتى امرًا غريباً وانّهُ ادّعى لنفسهِ بسلطة لم يَمْنَحْها. على انَّ مُثاني وتبعتهُ ضُربوا بالحرم وصارت بدعتهم نسياً منسياً. الى أن قام البروتستانت والجنسنيّون في القرن السادس العشر والسابع عشر وجدّدوا تحاملهم على الكنيسة الكاثوليكيّة وعاداتها المألوفة وكان من جملة ما اوردوهُ لتأييد رأيهم اقوال ترتليان العلّم. فكان لكلامهم صدى بعيدة ردّدها اصحابهم بل أثّرت في بعض الكاثوليك وكانوا يزعمون انَّ عادة الكنيسة قبل براءة القديس كلستوس كانت ان ترفض الحلّ على المتنصّرين اذا ما اقترفوا بعد عمادهم بعض الخطايا الثقيلة كأنَّ الكنيسة جرت مذ ذلك الحين على خطّة لم تألفها سابقاً. وهذه المزاعم قد جدّدها في عهدنا بعض الكتبة غير الضليعين بالدروس اللاهوتيّة. فمَن تصدّوا لهم حضرة الاب داليس اليسوعي الذي يُعَدُّ اليوم من جهابذة العلماء الكنسيّين ويُعرف بتآليفهِ العديدة التي اثنى عليها حتى خصوم الكنيسة وكان اوّلًا بحث في امر سرّ التوبة وقوانينها منذ عهد الرسل والقرون النصرانيّة الاولى وجمع كل ما كتبهُ في ذلك الآباء الاوّلون وما ورد في التقاليد الكنسيّة وفي الآثار القديمة فروى اقوالها بكل وضوح وحلّ ما فيها من الشبهات والرموز التي اعتادها اولئك الكتبة الاوّلون فنشرها في المجلّات الخصوصيّة ثمَّ عاد فاتّسع في تلك الابحاث فوضع هذا الكتاب الذي نحن في صدده والذي هو

على رأينا احسن وأوفى ما كُتب في هذا الامر فقراهُ يخوض بكل خبرة في عباب المسائل العديدة التي تنوط بسرّ التوبة وسلوك ارباب الكنيسة في منحهِ. ومماً يثبتهُ بكل صراحة انَّ الكنيسة في كل اطوار تاريخها كانت تقرُّ بسلطتها في حلّ كل الخطايا بلا استثناء. وليس في كتاب الراعي لهرماس وكتب اوريجانس ما ينقضهُ. امَّا ترتليان فكلامهُ كلام مبتدع لا يجوز قبولهُ ومثلهُ قول هيبوليتيوس في كتاب فيلوسوفومنا المكتشف حديثاً. وكذلك اوضح الاب داليس بنوع جليّ ما يختصّ بالتوبة السرّيَّة والتوبة العلنيَّة في اوَّل الكنيسة وبيَّن تاريخيًّا انهما هيئتان لسرّ واحد فكان الكهنة والاساقفة اذا سمعوا اعتراف احد الخطأة بذنوبهِ شرطوا عليهِ عندما يرونهُ مناسباً الاقرار بها او ببعضها علانيةً امام جمهور المسيحيين وفاء عنها وتعويضاً عن الشكوك التي سبَّبها الخاطئ باقترافها. وقد فنَّد كل ما اتى بهِ على خلاف ذلك المسيو شرل ليا (Ch. Lea) الذي اساء فهم النصوص القديمة بحذف قرائنها. وبالاجمال نقول انَّ كتاب الاب داليس قد صار منذ الآن الدستور الصحيح الذي يحقّ لكلّ العلماء ان يرجعوا اليهِ في ابحاثهم عن تاريخ سرّ التوبة في اوائل الكنيسة. . وليسمح لنا الاب ان نصلح غلطةً طبعيَّة وردت في الصفحة ٣٥٧ من كتابهِ حيث ورد اسم القديس اوغسطينوس بدلاً من اسم امبروسيوس وهو الذي صدَّ الملك ثاودوسيوس عن الدخول في الكنيسة الاب ب . كتناكيس

Peter Thomson : Kompendium der Palastinischeñ Altertumskunde. *Tübingen, J. C. B. Mohr*, 1913. p. 109

خلاصة العاديَّات الفلسطينيَّة

سبق المشرق (١٤ : ٢٣١) فعرَّف بفضل صاحب هذا الكتاب لمَّا وصف تأليفهُ المنون المطبوعات عن فلسطين (Palaestina Literatur). والتأليف الجديد اجدى من الاوَّل نفعاً فانهُ يشتمل على وصف ما اكتشفهُ العلماء الى يومنا من العاديَّات الفلسطينيَّة منذ ايَّام الكنعانيّين الى ايام ملوك الروم البوزنطيين. ولا يخفى ما يقتضيهِ كتاب مثل هذا من المطالعات والعلم الواسع. الاَّ انَّ المسيو تومسن كان اولى من غيرهِ بمباشرة هذا العمل لسكناهُ زمناً طويلاً في فلسطين وامرفتهِ اللغات المتعدّدة. فذكر كل هذه العاديَّات باباً باباً ورسم بنفسهِ صورها البديعة وبيَّن خواصها. وقد استند في

وصف العاديات الكنعانيَّة الى كتاب حضرة الاب ڤنسان الدومنيكي (Canaan d'après l'exploration récente) الذي اثنى عليهِ في مقدَّمت. امَّا الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة والبوزنطيَّة فان المسيو توسن جمع اوصافها من عدَّة تآليف متفرقة برويَّة وحسن انتقاد ودلَّ ايضاً على تزويرات المزوّرين بل وسم الحجارة الموابيَّة (ص ٨٠) التي اصطنعها اليهوديّ شابيرا (Shapira) . فالشكر اذن كل الشكر لهمَّة المسيو توسن على وضعه هذا الكتاب. ومما فاتهُ في تاريخ السياحات الفلسطينيَّة ذكر السائح الفرنسويّ الشهير المسيو غيرين (Guérin) الذي لستشهد بهِ غير مرَّة

الاب ر. موترد

Christlich-Arabisches von Dr Georg Graf in Donaualtheim. *Extract von Theol. Quartalschrift, heft II*, 161-192

مصنَّفات نصرانيَّة عربيَّة قديمة

انَّ حضرة الاب جورج غراف الالمانيّ مُغرَم بدرس الآداب العربيَّة بين قدماء النصارى وكان وضع سابقاً كتاباً في ذلك لم يتمَّهُ حتى الآن وها هو قد ألحق بالقسم المطبوع نبذة مطوَّلة اضافها اليهِ وقد ضمَّنها خلاصة ما وجده في سياحته الاخيرة من المعلومات في مكاتب الشرق وخصوصاً في مكتبتنا الشرقيَّة ثمَّ وصف المطبوعات الجديدة المتفرّقة التي ظهرت بعد طبع كتابهِ في المجلات والكتب المفردة فنشكر فضل الجامع واطنابهُ في تقديرهِ مجلَّة المشرق وثنائهِ على منشوراتها . ونتمنَّى ان يواصل ابحاثهُ في الآداب النصرانيَّة التي لا يزال حتى الآن كثيرٌ منها مطموراً في زوايا النسيان

ل . ش

تهذيب الارادة

تأليف الاب لويس دربان

القسم الاول مطبعة الابحة . ل . دربان . بيروت (١١٦ ص)

انَّ مؤلَّفاً كهذا يقضي على جانبك برده مطالعة واسعة في كتب العصريين من ايمَّة علم النفس الاختباري . وقد قام حضرة المؤلف بالواجب فجاء كتابهُ ثمرة تلك المطالعة . ومع ذلك لا نُحصيه في عداد تلك الكتب الكثيرة في شرقنا التي على قوله (في المقدمة) « هي اكثر الاحيان منقولات تسابق منقولات » فانهُ قرن

المطالعة بالتروّي فتشرّب ما اقتبسهُ منها حتى امتزج بعقله ومخيلته وشعوره وصار ما اخذه عن غيره لهُ شأن كل كاتب متفنن. ولعل الكثرة من مطالعة المصنّفات التربيّة الحديثة أثّرت في انشاء المؤلف فقد يبان للقارئ الشرقي معقّدًا. فصبحٌ لفظهُ علميّةٌ بُرُدتهُ ربما احتاجت الى صبغة ابسط واقرب الى الفهم سيما والكلام موجّه الى الاحداث. ولو لجأ حضرتهُ الى علم النفس النظري ايضًا كما استند الى الاختباري لجاء كلامهُ احيانًا اقرب الى الصواب او اقلّهُ الى ما تستوجبهُ دقّة البحث فكان شأنهُ ان يقدم على حديثه في الحرية (ص ١٤ وما يليها) حدًّا شافيًا لها وأن يميّز الحريّة الطبيعيّة من الادبيّة وما يناقض تلك من عدم الامكان المطلق مما يناقض هذه من الصعوبات العظمى التي لا تبلغ حدّ المحال وان لم تقوَ الارادة عليها غالبًا في واقع الحال. فلو فعلَ لما عرّضَ القارئ وان بسيطًا الى الريب والالتباس وافهمهُ أنهُ انما يريد الحريّة الادبية في قوله (ص١٥): «انما هي جزاء المجتهدين في كسبها فلا يستحقها ألا من طلبها ويده على قبضة السيف. ولا يبعد ان تقضي شطرًا طويلًا من العمر قبل ان تنال منها شأنًا يُذكر» ودمًا! كذلك يحتاج الى ايضاح وتمييز قوله (ص ٧) «ان سعة الاضطلاع مضرّةٌ او هي بلا فائدة بل ان لا نفع لها يُذكر ما لم تقترن بالاختصاص». فإن اراد بذلك ما يتوجّب على الطالب من ان يتناول من العلوم لبابها غير مرتبض بقشورها لصحّ القول. ولكن لا يُسلّم احد من ارباب التربية انّ الشاب يفيده وهو في المدرسة الاختصاص في فرعٍ مع صرف النظر عمّا سواه. فلا ينفع الاختصاص قبل ان يتمّ للطالب التثقيف العام. ومع هذا كله ففي «تهذيب الارادة» للشبيبة نصائح عملية كلها فائدة. نخصّ بالذكر منها كل الفصل الثالث في الزمان والانتفاع به ثم (ص ٧٤) في اللذة المرّة الناشئة عن قمع الاهواء. ويا ليتهُ زاد على فصله في التأمل كلمةً في الصلاة وضرورتها لتنشيط الارادة ولعلّهُ أجّل هذا البحث الى القسم الثاني الذي نرجو لهُ ظهورًا عاجلًا ش. ١٠

كتاب القواعد الجليّة في علم العربية

للاب جبرائيل اده اليسوعي. طبع على نسق جديد بعناية الاب خليل اده اليسوعي في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت. في ثلاثة اقسام سنة ١٩٢١–١٩٢٣

بيّن إقبال ارباب المدارس على كتاب القواعد الجليّة انّ مؤلفهُ سدّ بطبعهِ ثلمة

في تدريس العربيّة. وقد تعدَّدت طبعاتهُ منذ تصنيفهِ حتى بلغت عشرين طبعة. بيد انَّ اختبار الاساتذة قد دلَّهم على ان هذا الكتاب يمكن تحسينهُ في النسق والتبويب على طريقة اقرب الى اذهان الاحداث. وقام حضرة الاب خليل اده بهذا العمل باذن المؤلف وقد جعل الكتاب ثلثة اقسام يتضمَّن كل منها قواعد الصرف والنحو في ثلث طبقات عليا ووسطى وسفلى. ففي الطبقة العليا اي الكتاب الثالث كل القواعد التي في الوسطى والسفلى بحرفها مع قواعد خاصة اضافها الى كل باب زيادةً على ما ورد في الطبقتين الوسطى والسفلى. وكذلك الطبقة الوسطى اي الكتاب الثاني تتضمَّن الاصول الصرفيَّة والنحويَّة التي رُويت في الطبقة السفلى اي الكتاب الاوَّل مع الزيادات الموافقة لطلبة السنة الثانية وعلى هذا المنوال يتنقَّل التلميذ بالتدريج من كتاب الى آخر فيبني على الاساس الموضوع سابقاً دون ان يشذَّ عنهُ في التحديدات والطريقة وانَّما يوسّع فقط نطاق معارفهِ بمطالب جديدة تُعرض على فهمهِ. امَّا تبويب الكتاب فينطبق على طبيعة الولد بحيث يبتدئ بدرس المفردات من فعل واسم وحرف ثم يتخطَّى الى درس المركَّب مباشرةً بالمركَّب الذي لا يفيد حكماً ثمَّ المركَّب المفيد حكماً او الجملة ثمَّ فضلات الجملة ثمَّ الاسماء التي تعمل عمل الفعل ثمَّ الاحكام المختصَّة بالضمير والموصول ثمَّ اخيرًا الاحكام المختصَّة بصيغ الفعل. وقد أُبقي للسنة الثالثة ما يختصّ بتركيب الجمل ومعاني الحروف وقواعد استعمالها وغير ذلك من الفوائد. وعلى رأينا انَّ ارباب المدارس اذا أُطلعوا على هذا الكتاب يفضّلونهُ على سواه لحسن طريقتهِ وقرب فهمهِ وغزارة موادهِ ل. ش

تاريخ كلدو واثور

تأليف السيد ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

المجلَّد الثاني. طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت ١٩١٣ (ص ٣١٢)

لم يكد يمرّ علينا ستة اشهر مذ اعلنا قرَّاءنا بنجاز القسم الاوَّل من هذا التاريخ النفيس. وهذا المجلَّد الثاني يبتدئ بتاريخ الكلدان منذ دخولهم في النصرانيَّة ويتابع اخبارهم الى ظهور الاسلام وفتحهم لبلاد العراق وفارس فيتناول نحو سبعة اجيال. وقد اطَّلعنا على مضمونهِ فوجدناهُ في الحقيقة كتاباً مهمًّا يكشف عن آثار مدفونة او مكنونة في بطون مكاتب الخاصَّة وسيادتهُ لا يروي خبرًا الَّا يلحقهُ

بأسانيدهِ في ذيل الكتاب وكفى بهذه الشواهد دليلًا على ما عاناهُ من النَّصَب في جمع موادّهِ. ولا يجتزئ السيّد المؤلف برواية الامور الدينيَّة وحدها بل يمزج بين اخبار الدين والدنيا معاً. ومما يُشكر سيادتهُ كثيرًا عليهِ نزاهتهُ في نقل الروايات فتراهُ لا يهمّهُ الّا الوقوف على الحقيقة سواء دلّت على مفاخر قومهِ او معايبهم على خلاف عادات كثيرٍ من الشرقيين الذين لا يختارون من التاريخ سوى ما يوافق اهواءهم ومحاسن قومهم. وقد قرأنا بكل لذَّة انتقادات عديدة لسيادتهِ بآيَّنَ فيها آراء من سبقهُ مثبتاً بالبرهان مخالفتهُ لمزاعمهم. فنودّ لو ان كل الطوائف الشرقيَّة تكتب اسفارًا مثل هذا السفر تطلعنا على تفاصيل اخبار اجدادهم بجعلونها عبرة لأخلافهم. وهذا الكتاب مع ضخمهِ لا يباع اكثر من اربع فرنكات ويُطلب من مطبعتنا او من حضرة الخوري يوسف طوبيل النائب البطريركي على الكلدان ل. ش

كتاب الافخولوجي الكبير

عني بتعريبهِ وتنسيقهِ وتبويبهِ السيّد رفائيل هواويني اسقف بروكلن

طبع في مطبعة جريدة مرآة الغرب في نيويرك (١٩١٣ ص ٨١٠)

الافخولوجي الكبير هو الكتاب الذي يتضمَّن مجموع الصلوات التي يتلوها الاساقفة او الكهنة او الشمامسة في خدمة الاسرار المقدَّسة والفرائض الدينيَّة وكافَّة حاجات المؤمنين من ذوي الطقس اليوناني وقد عُني سابقاً بطبعهِ الكاثوليك والاورثذكس معاً الّا انَّ طبعاتهِ كانت مخلَّة من حيث نقصها ومن حيث ركاكة عبارتها. فاراد سيادة رفائيل هواويني متشيءٌ عجلة الكلمة ان يسدّ الخلل فاستحضر نسخاً من الكتاب في اليونانيَّة والسلافيَّة وعرَّبهُ تعريباً جديدًا محكماً وقد سبق لنا (ص ١٥٥) وصف القسم الاوَّل منهُ المعروف بالقنداق. وهذا القسم الثاني نحو اربعة اضعاف الاوَّل. فسيادة المعرِّب لستحقّ شكر بني ملّتهِ بما اضافهُ الى الطبعات السابقة من الرُّتب والخدم التي لم يعرّبها غيرهُ فجاء الكتاب مجموعاً ضخماً يفي بكل حاجات الكنيسة الاورثذكسيَّة. ولولا بعض ما يمسُّ كرامة الكنيسة الكاثوليكيَّة لأوصينا بهِ الروم الكاثوليك ايضاً. لكنَّنا لا نرضى بان تُنظَم الكنيسة الرومانيَّة في عداد النساطرة واليعاقبة والبروتستانت كما فعل (ص ٦٧٧) فأيُّ مجمع من المجامع السبعة حرم الكنيسة الرومانيَّة لكي يجعلها في جملة الهراطقة

ومن المعلوم انَّ كنيسته لا ترضى بغير هذه المجامع السكونيَّة السبعة. وممَّا سرَّنا بطالته في الكتاب « الصلوات على نفوس الراقدين » (ص ٢١٩) وهي احسن دليل على اعتقاد الروم بالمطهر. وكذلك سرَّنا انَّ سيادته لم يوجب اعادة العماد للداخلين في الاورثذكسيَّة ان كانوا قبلًا من المذهب البابوي (ص٦٧٧). وكلٌّ يعلم انَّ بطريركيَّة الفنار قد قرَّرت عليهم تكرير المعموديَّة. وهذا اضوأ برهان على اتّفاق الكنائس الاورثذكسيَّة (!!). وممَّا اذهلنا قول سيادته (ص٢) « انَّ صلاة القداس الالهيّ لا تجوز بتَّةً قبل بدء صباح اليوم ولا بعد منتصف النهار اي بعد الظهر » مع انَّ رؤساء كنيسته يقدّسون في منتصف الليل في احد القيامة وكنائس شرقيَّة عديدة تقدّس في مساء سبت النور ». وممَّا ادهشنا ايضاً (ص٦٧١) القانون المفروض على « الاورثذكسيين الجاحدين المرتدّين الى الايمان الاورثذكسيّ القويم » اذا جحدوا الايمان باختيارهم « ان لا ينالوا الاسرار الالهيَّة ألّا في نهاية حياتهم » فليت شعري هل اوجب غبطة بطريرك الاورثذكس هذا القانون على حضرة الإكسرخوس نقولا شحاده واهل كسبا لمّا تمذهبوا بالمذهب البابوي ثمَّ اضطرَّهم غبطتهُ وقنصل روسيَّة الى الرجوع الى مذهبهم ؟ لا نظنّ. فشتَّان بين القوانين المكتوبة الميتة والعادات الجارية الحيَّة !

ل.ش

رسائل البلغاء

عُني بجمعها محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس

طُبع بمطبعة دار الكتب العربيَّة بمصر سنة ١٣٣١-١٩١٣ (ص٢٣٠)

أطلعنا قرَّاءنا الكرام على هذه الرسائل عند ظهورها للمرَّة الاولى (المشرق ١٣: ٨٧١) وبيّنَّا ما احترتهُ من الدرر الفريدة لائمة البلغاء. ولا عجب من اقبال الادباء عليها حتى اضطرَّ صاحبها الهمام الى اعادة طبعها. وقد نشرها هذه المرَّة بمصر وضمَّنها ما عدا الآثار السابقة رسائل اخرى نُشر بعضها على حدة ومرَّ لنا وصفها كرسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني وملقى السبيل لابي العلاء المعرّي ممَّا نشرهُ حسن حسني عبد الوهّاب افندي التونسي (المشرق ١٥: ٢٣٤) وبعضها لم يُنشر حتى الآن كالرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي اليُسر ابراهيم بن المدبّر ورسالة ابي القارح الى ابي العلاء المعرّي وهي التي اجابهُ عنها ابو العلاء برسالة

النفران وكتاب العرب وهو الردّ على الشعوبيّة لابي محمّد عبد الله الشهير بابن قتيبة وببعض فصول قصيرة استخرجها قوم من علماء زماننا من خزائن كتبهم فنشروها في هذا المجموع الخطير. ويا ليت الكتاب كلّهُ طُبع بالحرف الكبير المشكّل كقسمهِ الاوّل لاستفاد منهُ احداث المدارس كمحبي الآداب القديمة ل.ش

الطريقة القدسيّة

لواضعها الياس بك قدسي قيس قنصلوس دولة البورتغال في دمشق

طُبع في المطبعة الارثذكسية في دمشق ١٩١٠ (ص ٣٢)

هي طريقة سهلة لمسك دفاتر الحسابات التجاريّة بالقيودات المزدوجة (الدوبيا) وضعها جناب الياس بك قدسي الدمشقي فشرحها في هذه الرسالة التي دعاها «اجتهاد في الدوبيا» مشيرًا بذلك الى ملازمتهِ الطريقة الشائعة في بلادنا المعروفة بالطريقة الايطاليّة ثم الى زيادتهِ عليها ضبطًا وسهولةً ببعض تحويرات ادخلها فيها وقد شرح ذلك بهذه الكراسة شرحًا وافيًا قريب المنال ل.ش

تسريح العيون في تاريخ كنيسة القديس يوحنا مارون

بقلم الخوري فرنسيس الشمالي خادم الكنيسة المذكورة في بفلو

طُبع في المطبعة اللبنانيّة « جسر نهر بيروت » سنة ١٩١٣ (ص ٦٧)

هذا الكرّاس افضل شاهد على ما يستطيع فعلهُ كاهن غيور منزَّه عن كل الغايات البشريّة لدى ابناء كنيستهِ في المهاجرة فنشكر حضرة الخوري فرنسيس الشمالي على تسطيرهِ اخبار كنيسة بفلو التي وُلّي هو خدمتها منذ السنة ١٩٠٨ وما اجرى هناك من اعمال الخير المتعدّدة منذ استلامهِ شؤون الرعيّة الى هذه السنة الجارية جازاهُ الله على كل مساعيهِ وسهّل لهُ في المهجر القيام بكل ما يؤول الى خير طائفتهِ ومجده تعالى

كتاب الاتقان في لغة السريان

للسيّد يوسف دريان مطران طرسوس شرفًا والنائب البطريركيّ الماروني وظيفةً

طُبع بالمطبعة الطبيّة في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٤٤٦)

توسّمنا الخير في هذا الكتاب لمّا وصفنا طبعتهُ الاولى سنة ١٩٠٥ (في الشرق ٨ : ١٠٠٧) فلم يُخلف ظنّنا. ومن العجب ان كتابًا لغويًّا من الصرف السرياني يُطبع اكثر من طبعة في الشرق حيث كسدت هذه اللغة الشريفة ولم يُعنَ بدرسها الّا

القليلون فلا شكّ ان سيادة المؤلف بحسن طريقتهِ ووضوح لهجتهِ بعث همّة كثيرين ونشّطهم الى احراز فرائدها. فنهنّئ السيّد الوقور على ما نال كتابهُ من الرواج. وهذه الطبعة الثانية قد برزت في حلة اقشب من الاولى وفقاً لسنّة الترقي. وليس تحسينها ماديّاً فقط بل معنوياً ايضاً اذ ان سيادتهُ لم يحجم عن اعادة النظر في تأليفهِ تسديداً لهُ وتصحيحاً وترتيباً وتنقيحاً كما افاد في مقدّمة الكتاب فنحن والمتقون بزيادة اقبال الدارسين عليه. اعاد الله به لغة آبائنا الى رونقها السابق ل.ش

الهدى الى الدين المصطفى

أَلّفهُ ... النجفي (كذا)

طبع في مطبعة العرفان. صيدا (١٣٣٠-١٣٣١ ص ٣٤٣)

لقد كدنا وايم الحق نكذّب ذات عيننا اذ قرأنا في اسفل الصفحة الاولى من هذا الكتاب «مطبعة العرفان» ونحن تشرّفنا بمعرفة صاحبها وكنا نجلّه عن التحامل على الاديان بطبعه كتاباً كهذا وقد اطنب مؤلفهُ طمعاً ان لم نقل سفاهة على الدين النصراني مما ليس وراءه الّا تصدّع الالفة بين العناصر. بل عجبنا من الحكومة المحلية كيف تُغضي على نشر مُصنّف كهذا والبلاد في حاجة الى سلام ووئام. فلو اقتصر النجفيّ على ما وسم به كتابهُ ولم يتعرّض لدين غيره لما كنّا نُثني عليه بالّلائمة. لكنّ العنوان غشاش خدّاع يرمي الى ما ليس فيه ظاهراً. ونكتفي بهذا دون التعرّض لتفنيد شبهاتهِ واكاذيبه التي سبق غيرنا وزيّفها اثارهُ الله ش.١٠

شَذَرَاتٌ

الصفح عن القاتل — نظم جناب الاستاذ يوسف افندي الفاخوري احد اساتذة كليتنا حادثاً رَوتهُ مؤخراً جريدة البشير عن كاهن صفح عن قاتل ابنه وهو على وشك ان يعاقب عن ذنبه شنقاً

هُنالكَ في الفيحاء حيثُ تجمّعُ ... جماهيرُ لا تُحصى لأمرٍ توقّعُ
رِقفا عند «رأس الدل» وقفة آسفٍ ... ولا تسألا فالحالُ تُبكي وتوجعُ
تبيّنْ ذاكَ اليومُ للطرفِ ظُلمةٌ ... وغيمُ الفضا وجهَ الغزالةِ يسفعُ
فلا شمسَ في وسطِ السماء منيرةٌ ... ولا نجمَ في تلكَ الدُّجنّةِ يلمعُ

ولا بشرٌ في أهلِ المدينة سائدٌ ولا شُهبٌ تبدو في السماء وتطلعُ
تصدُّ عن الأفقِ النجومُ كئيبةً وتهربُ من ذاك الرتيع وتفزعُ
يُحجَبُ وجهَ البدرِ ستر كآبةٍ فلا البدرُ مرئيٌّ ولا النجمُ يسطعُ
نضا البشرَ عن وجهِ المدينةِ آفةٌ وتاب عن النورِ القتامُ المجزعُ
وسادَ سكوتٌ سبَّبَ الخوفَ طُولُهُ فلا سوقَ مفتوحٌ ولا بيعَ يُمرعُ
ولا الطيرَ في دوحِ الرياض مغرِّدٌ ولا القولُ مسموعٌ ولا الرأيُ مُجمَعُ
كأنْ قد عرا تلك المدينةَ نكبةٌ وجلَّلها همٌّ من الحزنِ مفزعُ
كأنَّ على هام الجماهيرِ طائرًا فلا ركزَ في تلك الدقيقة يُسمَعُ
وتبكي عيونٌ محدقاتٌ بيافعٍ يسيرُ ببطءٍ وهو آسٍ مُقنَّعُ

*

الا أيُّها الساري المُروَّعُ قلبُهُ الى اين ما تبغي وما انت تقطعُ
رجوعاً فهذا السيرُ يُفضي سبيلُهُ الى الشانقِ بالإثمِ الذي كنتَ تتبعُ
فيا ليتَ لم تقتل فتيًا غضًنا بريئاً قضى لم يجنِ ما كنت تزرعُ
قتلتَ ولم ترحم كهولةَ والدٍ رثاهُ بما قلبَ الجلاميدِ يصدعُ
وفجّعتَ أمًّا نغّصَ الحزنُ عيشها وآلها والامُّ بالنسلِ تُفجَعُ
وذكّيتَ نيران المداوةِ مضرماً فهاج لها الشكانُ والضغنُ يلذعُ
وناح ذوو القربى وبكوا فقيدهم فكلٌّ حزينٌ وهو بالصبر يصدعُ
قتلتَ وأحرقتَ البيتَ تعمّدًا لتخفيَ ما تجني فما أنتَ تقنعُ
تبيّنَ للحكامِ أنكَ قاتلٌ فيا انت مسجونٌ وها انتَ تُصرعُ
فسِقتَ الى القتلِ الذي انت خائفٌ فلا بدَّ مما اليوم منهُ تُروِّعُ

*

تبدّى له الشنق الذي راعَ قلبَهُ وكل امرئٍ يخشى المنون ويفزعُ
تقدّمَ للموت الذي وهو جازعٌ فأدمى قلوباً بأسها يتصدّعُ
واذ كادتِ الأمراسُ تلمس عُنقَهُ وصاحَ ذوو قرباهُ وهو مُودِّعُ
مشى كاهنٌ بين الجموع بخفّةٍ وشقّ صفوفاً لا تُعدُّ وتُجمعُ
فهذا ابو المقتولِ قوّس صلبَهُ أسًى أصل اركانِ الجبالِ يُزعزعُ

تنازعهُ امران حبُّ انتقامهِ ... وما قال انجيلُ المسيح المشرَّعُ
فأقنعهُ تعليم إنجيل ربّهِ ... وصاح غفرتُ الاثمَ والدمعُ مُترَعُ
صفحتُ عن الجاني كما قال خالقي ... وما لي بهذا الصفح ذا اليومَ مطمَعُ
فضجَّ جميعُ القوم ضجَّةَ مُعجبٍ ... بما سمعوا ما لم يكُن يُتوقَّعُ
نماد بهاءُ الأفقِ يزهو بشمسهِ ... واسفَر وجهُ البِشرِ لا يتلفَّعُ
وقد عظَّم الاقوامُ دينَ مسيحنا ... وذو العقل في الدنيا بهذا الدينِ مولعُ
فما تاركٌ إلا لبعضِ مقاصدٍ ... ولا نابذٌ إلّا الذي ليس يقنَعُ

*

هناك ارى رَسمَ المحبَّةِ كاهنٌ ... هو ثُمَّ سجايا كلُّهنَّ ترفُّعُ
محبَّتُهُ قد وفَّر الحِلمُ جودَها ... لها اليومَ في جوّ الحقيقةِ مَطلَعُ
وايمانُهُ قد باركَ اللهُ صدقهُ ... وليس لهُ عن منهج الحقِ منزعُ
وما المرء إلّا ان يكون لدينهِ ... ويعبُدَ ربًّا والخليقةَ ينفعُ
فلا شيء للإنسان يُجدي منافعاً ... سوى صالحٍ باقٍ فدنياهُ تخدَعُ

لكلِّ ذي حقٍ حقَّهُ روى صديقنا الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف في الآثار (ج ٣ص ١٠) هذين البيتين:

فامّا ان تكون اخي بصدقٍ ... فاعرفُ منكَ غثّي من سميني
والّا فاطَّرِحني واتَّخذني ... عدوًّا اتَّقيك وتتَّقيني

ونسبهما الى « محمَّد طبيعة البقاعي ». امَّا من هو محمَّد المذكور فلا نعلم وانَّما نعلم انَّ البيتين من قصيدة شهيرة تُعدُّ من مَشوبات العرب رويناها في شعراء النصرانيَّة (ص٤٠٥) وهي للمثقِّب العبدي — ونظنُّ انَّ « نيوتن الكاهن المصريَّ » الذي ذكرهُ (ص ١٤) هو اسم مصحَّف ولعلَّهُ اراد « منيثون » (Manéthon)

طيَّار يسوعي روت جريدة صدى باريس في عددها الصادر في ٥ تشرين الثاني ان المسيو كستيليون دي سان فكتور (Castillon de S^t Victor) رئيس جمعيَّة الطيَّارين في باريس دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة

محمَّد طاهر التير في حكم الانكليز يذكر قرَّاؤنا الكرام انتقادنا (في المشرق ١٥ : ٣٢٤ و٢٩٠) على الكتاب السمج الذي نشرهُ محمَّد طاهر

الشّير ودعاءهُ بالعقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة وزيّنهُ بالتصاوير القبيحة التي زعم أنّهُ نقلها عن كتب العلماء الموثوق بهم . ومن أراد ان يتفكّه بمرفة غزعبلات هذا الكاتب المصري فليراجع مقالةً انكليزيّة لطيفة (The latest Muhammadan Mare's Nest) للدكتور تِسْدال (Rev. Dr. W. St. Clair Tisdall) نشرها في المجلّة الانكليزيّة « The Moslem World » في عددها الرابع من السنة الجارية (October, 1913, 407-416) يجد فيها التزويرات العجيبة والتلفيقات الغريبة التي نسبها الشّير الى العلماء زورًا . فيا لله ما اقصر حبل الكذب واوهن ملكهُ !

اسئلة واجوبة

س سألنا احد القرّاء ما رأينا في جواب مجلة الرسالة (ص ١٤١) على من سألها عن كلمة دستور الايمان « مساوٍ للآب في الجوهر » تفي بالمعنى المقصود

كلمة دستور الايمان « مساوٍ للآب في الجوهر »

ج احسنت الرسالة بقولها انّ هذا التعريب لا يفي بالمعنى المقصود وفي الاصل اللاتيني consubstantialis واليوناني ὁμοούσιος المراد بهما انّ الابن « ذات الاب في الجوهر » وعرض ابدالهُ بما ورد في المجمع اللبناني « واحد مع الاب في الجوهر » وهو تعريب حسن . ويجوز ايضًا تعريبهُ بقولنا « الذي لهُ ذات جوهر الآب » او كما فسّرهُ مجمع طليطلة القديم « ذو الذات الواحدة مع الآب »

س وسأل من بنالو حضرة الخوري فرنسيس الشالي ما هو القول المرجّح في السبب الذي حمل القديس يوسف على ان يفكر بتخلية العذراء مريم سرًّا بعد حبلها من الروح القدس

شرح آية متى ١ : ١٩

ج الرأي المرجّح في ذلك ما قالهُ القديس ايرونيموس في شرح هذه الآية انّ يوسف كان متأكدًا براءة العذراء الّا انّهُ كان يجهل سرّ حبلها ولم ترضَ البتول بان توقفهُ على الامر لعلمها بانّ الله سيوحي اليه بذلك رأسًا . ومن ثمّ بقي في ريبه ريثما تراءى لهُ الملاك وازال شكّهُ

ش . ل

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة السادسة عشرة من مجلة المشرق ١٩١٣

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)